عبير

1188

١١٨٨

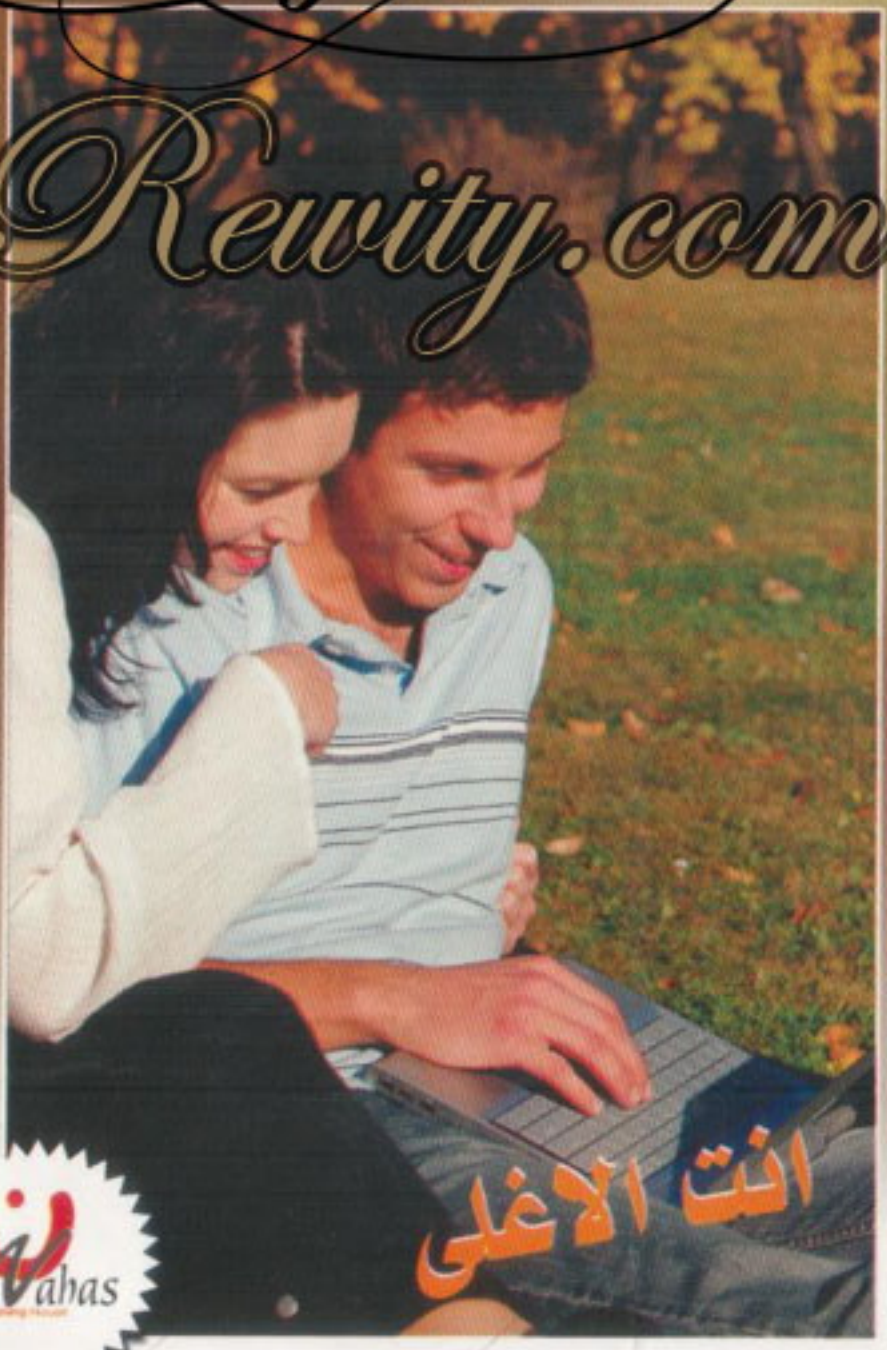

Dalyai

انت الاغلى

صادر عن دار م. النحاس

انت الاغلى

www.rowity.com

«إنك على الأقل لن تكوني مثقلة بعبء عاشق معوق، هو شبه رجل.»

لقد كانت ساشا مفتونة به. فقد كان ريكس تمبلتون يملك كل ما تتطلبه المرأة من الرجل. كان بالغ الوسامة، بالغ الثراء رائع الرجولة. ولكنه كان مشلول القدمين، ويعتقد أنه معوق لا يستحق الحب. وبدا أن ليس في وسع ساشا ان تجعله يغيّر رأيه.

لبنان: ٣٠٠٠ ل ل -سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١،٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5

انت الاغلى

اعداد

مجموعة من الادباء

والكتاب العالميين

جميع الحقوق محفوظة للناشر

Abeer 1188

انت الاغلى

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

كانت ساشا تقاومه بكل قوتها لكي تتخلص منه، وقد نضحت عيناها بالرغبة، وهي تصرخ:«كلا، لا أستطيع.»
نضحت ملامح ريكس بمثل رغبتها هذه، الى ان تحوّلت حيرة وذهولا. وما لبثت ان شاهدت على فمه تعبيرا بشعا، وهو يتنفس بصعوبة ويقول:«إنني آسف. لم أكن لأدرك مدى شعورك بالاشمئزاز حين يقبلك رجل معوق.»

الفصل الأول

كان المنطاد يهبط بسرعة أكثر مما يجب! ارتجفت أصابع ساشا وهي تنقل نظرها بين الملامح الصارمة للرجل الواقف عند موقد الاشتعال، يبذل جهدا يائسا ليعلو قليلا فوق الحقول الخضراء وقرميد منزل المالك الذي برزت منه المداخن وقد بدت فجأة وكأن المنطاد موشك على الاصدام بها.

شعرت بالغثيان وهي تتساءل عما إذا كان هذا نهاية حياتها. وبدا وجهها، الذي يحيط به شعرها الأسود المنسدل على كتفيها، شاحبا وهي تفكر في إمكان سقوطهما من الفضاء فوق مكان ما من منطقة اسكس في تلك الأمسية الصيفية! أم هي منطقة سافولك؟ انها لم تكن متأكدة من طول المسافة التي اجتازها.

هتفت:«غايفن... افعل شيئا؟» وامتلأت عيناها ذعرا وهي تنظر الى النسيج المخطط المنفوخ.

قال مرافقها بحدة:«ألا تريننني أحاول؟»

تتابعت امام عينيها القليل من شريط عمرها ذي الست والعشرين سنة.

نشأتها وتعليمها الجامعي في نيويورك. طلاق والديها، وتعرفها ببن. ولكنها سرعان ما نفت كل هذه الذكريات من ذهنها جميعا ابتداء من أول موعد لها مع استاذ الفنون الشاب الرقيق الملتحي الى ذلك الاتصال الهاتفي الذي زلزل حياتها منذ ثمانية عشر شهرا، والذي دمر سعادها. شهور العذاب والمرارة التي ساقتها الى

انكلترا هرباً من الوحدة والذكريات والشعور بالذنب...
قال غايفن:«لقد حاولت ان استوي به يا ساشا، وأظنني سأنجح في ذلك.»
أعادها صوته الى الخطر الحالي. كان مطبقاً أسنانه بشدة، وقد احمر وجهه وهو يتنفس بصعوبة متشبثاً بالأمل. كانت تراقب محاولاته عندما اندلعت شعلة من اللهب مرسلة دفعة اخرى من الهواء الحار في نسيج المنطاد الملون.
كان هذا كابحاً ينقص من سرعة النزول. وابتدأ نسيم المساء يحوم بهما فوق المنزل، ولكن هذا لم يكن كافياً، ولاحظت ساشا الخيمة خلف الأشجار، كان بعض الناس يتطلعون الآن الى أعلى وقد تأنقوا جميعاً في لباسهم. ولكنهما كانا على اهبة الهبوط بينهم إذا هما لم يأخذا حذرهما.
ألقت نظرة ذعر اخرى سريعة على مرافقها. لقد شعرت بدفعة اخرى من الحرارة من موقد الاشتعال. ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان اذا اصطدمت سلة المنطاد برؤوس فروع الأشجار لتتناثر شذراتها بينما سحبها المنطاد دون رحمة نحو الخيمة.
سمعت ساشا نفسها تصرخ بينما كان الناس يصرخون، وهي تندفع ساقطة وتشعر بألم عنيف في كتفها الايسر قبل ان تصدمها الارض وسط دوامة من الاصوات والغبار.
سمع صوت امرأة تصرخ:«انظروا ماذا فعلاً. لقد دمرا كل شيء. وانظروا ماذا حدث للخيمة بسببهما.»
ارتفع صوت آخر لرجل:«كيف حدث هذا؟ كلا، لا

تلمسوها. اذ علينا ان نعرف مدى اصابتها قبل ان يحركها احد من مكانها.»
«كلا... انني لم أمت!» ومع ان هذه الكلمات تبلورت في ذهنها، إلا انها لم تبرح شفتيها. وقد اختلطت في حواسها الضوضاء برائحة الحشائش الغضة.
«النجدة، النجدة من فضلكم...» سمعت وهي ترتجف ذلك الصوت المسيطر يلقي بتعليماته مرة اخرى. صوت ذلك الرجل القادر على التنفيذ. وكما لو كانت مؤرجحة فوق حافة هاوية سحيقة، شعرت بخياشيمها تنتعش برائحة ذكية منعشة، وللحظات قليلة فكرت في غايفن عما إذا كان قد نجا أم لا. ثم ابتدأت تتهاوى شيئاً فشيئاً في تلك الهاوية المظلمة.
لا بد انها نقلت الى الداخل، اذ وجدت نفسها، حين استيقظت، في سرير وعيناها تحدقان الى سقف مرتفع. بينما كان ثمة اصوات مختلطة تصل الى مسامعها.
«لا ادري كيف امكنك تقبل الأمر بمثل هذا الهدوء. انني اعرف انه كان حادث صدام وإنني اشعر بالأسف لأجلها، ولكنني لا يمكن ألا اشعر بالانزعاج. من المؤكد ان ريكس لن يكون راضياً عن نتيجة ما حدث لخطته التي استغرق اسابيع في وضعها.»
استدارت ساشا لترى من التي تحدث بهذه الكلمات الغاضبة، فوجدتها فتاة تصغرها سناً، ذات شعر قصير أصهب، تقف قرب النافذة. وعندما ابتعدت عن المرأة النحيلة التي تكبرها سناً، والتي كانت تقف الى جانبها، بدت لعيني ساشا بالغة الأناقة.
قالت المرأة المسنة:«كفى يا لورين.»

ميزت ساشا في صوتها ذي اللكنة الخفيفة المرأة ذاتها التي سبق ان تحدثت عنها بحنان. وتابعت هذه قولها:«انني اعرف تقلب مزاجه هذه الأيام، ولكن إذا كان مثل هذا الحادث يمكن ان يعكر مزاجه فانني...» وسكتت المرأة فجأة وقد أدركت ان ساشا قد استيقظت.

اقتربت المرأة منها وقد كست ابتسامة رقيقة ملامحها وهي تسألها:«هل انت بخير يا عزيزتي؟ هل تشعرين بألم؟» كانت انيقة ولطيفة، بالرغم من صلابة ملامحها.

رفعت ساشا يدها الى صدغها وهي تشهق متألمة ثم قالت:«انني... انني بخير. إنها... إنها كتفي فقط.» وهي تحاول تذكر ما حدث وقد بدا العبوس في وجهها وارتفعت نظراتها الى النافذة المستطيلة لتنظر من خلالها الى المرج الأخضر.

فجأة ابتدأت تتذكر، حاولت الجلوس وقد بدا الألم في عينيها وهي تهتف:«غايفن... هل هو...؟»

قالت المرأة المسنة تطمئنها بلهجتها الاسكوتلندية:«انه بخير تماما. انه فقط يتلقى علاجا لبعض الجراح وسيكون على ما يرام. ولكن، بما انك غبت عن الوعي عدة دقائق، ارى من الافضل، لزيادة الاطمئنان، ان تنتقلي الى المستشفى.»

المستشفى. المكان الذي سبق ان انتظرت طويلاً، لكي تخرج منه في النهاية صفر اليدين... من دون أمل، ومن دون مستقبل. وقد تشتت أحلامها.

قالت وهي تمد ساقيها الى ما تحت حافة السرير:«كلا.» تأوهت والألم يفتك بأعماقها، شعرت بأنها موشكة على الاغماء. وهي تنظر الى قميصها

وقد ادركت ان شخصاً ما قد فك حزام سروالها.

عادت المرأة تقول:«ارأيت انني على حق يا عزيزتي؟ انهم في المستشفى يعرفون كيف يهتمون بك. لورين، اذهبي واطلبي من مايكل ان يجهز السيارة.»

هتفت ساشا مرة اخرى ودفعها الى ذلك الألم الذي يمزقها:«كلا.» كانت لهجتها حادة، ولكن ليس في إمكانها ان تواجه احد هذه الامكنة مرة اخرى. لا يمكنها ذلك ابدا... أو ليس هذا ما دفعها الى المجيء الى انكلترا لكي تنسى؟

عادت تقول بلهجة اعتذار:«كلا، انني بخير حقاً.» ولكن المرأة الشابة لم تقبل هذا منها، وقالت:«ان عمتي تعرف ما هو الأنسب لك. اذ يتبع ذلك احيانا عوارض خطرة قد تكون ملهكة.»

قالت ساشا وهي ترفع وجهها البيضوي الشاحب الخالي من الزينة كغيرها من الفتيات:«شكرا.» وفكرت في لورين ومظهرها المرح.

قالت العمة:«ان لورين خصبة الخيال.»

فقالت لورين:«ولكن ذلك صحيح. قد يمكن ريكس ان يقنعها، ما دامت لا تستمع إلينا. انك تعرفين مدى قدرته على الاقناع، يا عمتي. ليس عليه الا...»

«لورين.»

جذب الصوت انتباه الجميع الى وجود رجل على عتبة الباب.

كان رائع البنية بقميصه الأبيض وربطة عنقه الفضية وسرواله القاتم الحسن التفصيل. وكان شعره الأسود يزيد من وسامته الفائقة. ولاحظت ساشا قوة شخصيته

المسيطرة من خلال ملامحه الفولاذية. كان يبدو في اوائل الثلاثينات تبدو العجرفة في فكه وأنفه. وكانت إمارات السيطرة والقيادة بادية في الخطوط التي تحيط بفمه. تلك السيطرة التي لاحظتها ساشا حتى وهي مستلقية على الحشائش شبه مغمى عليها، والتي زادها قوة، كرسي ذو عجلات مشدودا إليه.

قال:«لا بأس يا أماه. لماذا لا تخرجين ابنة عمي الصغيرة من هنا؟» كان صوته آمرا يدفع السامع الى امتثال امره من دون مناقشة. وفجأة وجدت ساشا نفسها ضعيفة هشة بمفردها معه في الغرفة.

دخل بكرسيه بمهابة غير عادية وقد وضع يديه التي يكسوهما شعر اسود، على عجلتي الكرسي، وهو يسألها:«ما اسمك؟»

اجابت:«ساشا مورغان.»

تحركت شفتاه شبه ابتسامة وهو يتابع سائلا:«اميركية؟»

اومأت برأسها:«نعم.»

قال:«اسمي ريكس تمبلتون.» ومد لها يداً باردة.

اذن فهذا هو ريكس الذي كان في غاية الغضب لافسادهما حفلته الغالية في الحديقة. وسحبت يدها بسرعة من قبضته الواثقة.

عاد يسألها:«كيف تشعرين؟»

شدت على شفتيها تمنع نفسها من ان تسأله إذا حقاً يهتم بما تشعر به. ثم قالت بعدم اكتراث:«سأعيش.» لم تكن تريد لشخص يهتم بحفلته اكثر مما يوجهه اليها ويهتم بها وبغايفن، ان يعلم بأنها تعاني الألم.

وتابعت:«إنني آسفة حقاً على ما حدث للخيمة.»كانت تجلس بكل استقامة وتسمع الناس خارجا، مكررين الاحاديث عما سببه سقوطهما بالمنطاد من فوضى، مما فهمت منه انها موجودة في الطابق الأرضي، لتدرك فجأة ان هذه الغرفة تخص رجلاً لا يمكنه صعود السلالم. وذلك من ارضيتها الخشبية القاتمة، ومن اثاثها الذي يفتقر الى الطابق الانثوي الرقيق. وثمة باب لا بد انه باب حمام. فجأة، شعرت ساشا بوضعها الغريب وهي تجلس في غرفة هذا الرجل.

قال بابتسامة وعدم اكتراث:«لا تقلقي لهذه. اتسمحين؟» اقترب بكرسيه يلتقط سترة عن السرير كان يفوح منها رائحة العطر ذاته الذي كانت قد شمته خارجا. لقد كانت سترته إذا هي التي شعرت بها تغطيها. وخامرها شعور غريب بالانتصار وهي تراه يضعها على ركبتيه بشكل عفوي وهو يقول:«اظن ان عليك ان تشكري حظك انت وصديقك، لكون اصابتكما خفيفة. وقد كان ممكنا ان تموتا انتما الاثنان.»

قالت وهي تهز كتفيها:«نعم. اعرف ذلك.» وأوشكت ان تخبره ان غايفن تشيز ليس صديقا لها، وانها لم تتعرف به الا في اليوم السابق عندما اشترت تذكرة للقيام برحلة المنطاد هذه. ولكن لم يكن لذلك اهمية. وعندما حوّل اهتمامه، لحظة لشيء في الخارج، اغتنمت هي الفرصة لتتأمله. لقد كان بالغ الوسامة. وكانت خشونة ملامحه تلطف منها نعومة شعره. تبدو عليه جاذبية غريبة اخاذة. بدت كتفاه عريضتين متينتي البناء كسائر اعضاء جسمه. بصرف النظر عن عجزه.

قال:«هل تلجئين، عادة الى تخريب حفلات الآخرين بمثل هذه الطريقة الخطرة؟»
نظرت إليه وهي تتساءل عن قسوة الايام التي جعلت هذا الرجل الجذاب رجلا معاقا، عندما لاحت في عينيه الرماديتين نظرة ساخرة وقد انتبه لتمعنها فيه. ازدردت ريقها وهي تقول:«لقد قلت انني آسفة.»
لم يبد عليه الانزعاج، ولكنها ادركت، ان ريكس تمبلتون لا بد ان يكون معتادا تماما على اخفاء انفعالاته. وحثها شعورها بأنه يغلي غليانا تحت مظهر برودة ملامحه تلك، حثها على ان تتابع قائلة:«انني متأكدة من ان غايفن يشعر بمثل أسفي هذا. وإذا لم تستطع ان تدرك ان هذا انما كان مصادفة...»
قاطعها بخشونة وهو يرجع الى الخلف:«انتظري، هل من عادتك على الدوام ان تتخذي موقف الدفاع؟»
نظر إليها مترددا وشعرت هي بالغضب يصعد الدم الى وجهها، وتذكرت ما كان بن يصفها به من انها تشابه فتيات الريف ببشرتها. مررت بيدها على شعرها الاشعث وقد شعرت فجأة بما عسى ان يكون شكلها.
قال:«ألم يخطر لك قط ما عسى ان افكر انا في ذلك؟»
ادركت انه كان محقا. فهو لم يقل او يفعل أي شيء يبرر هذا الهجوم الدفاعي منها. وقالت بشبه ابتسامة:«انني آسفة. هذا لأنني سبق ان سمعت ابنة عمك تقول انك خططت لهذه الحفلة منذ اسابيع...»
قلب شفتيه متسامحا وهو يقول:«آه، لورين! انها دوما تحاول ان تتكهن بحاجاتي. ولكن، لا ضرورة لكل هذه الاعذار، خصوصا بالنسبة إلي. وإذا كنت تحبين التعبير

عن أسفك البالغ وألمك لما حدث، فوفري ذلك لوالدتي. فقد كان هذا الذي غزوتماه، انتما الإثنان، هو ذكرى ميلادها الستين... ولا شأن للورين به.»
قالت:«إنني آسفة...»
فقاطعها:«أوه، لا تقلقي لهذا.» وغير ملامحه بشكل ادركت ساشا معه انه انما يقلد ما بدا على ملامحها هي. وتابع قائلا:«انني متأكد من انها ستسامحك على ذلك. وربما اكثر من رفضك لنصيحتها بأن تقبلي بالانتقال الى المستشفى.»
قالت:«كلا.» وتساءلت في نفسها عما إذا كان هذا هو سبب مجيئه لزيارتها، ليحاول ان يخفف من عنادها تجاه هذا العمل الحكيم. وشعرت بنظراته تتفحصها.
قال اخيرا:«لا شك ان هذا الحادث قد تسبب لك باضطراب عنيف.»
اجابت وهي ترفع رأسها بازدراء:«لقد اجتزت ذلك.»
قال:«ربما كان ذلك لاصطدامك بمحور الخيمة.»
قالت تجادله:«كان ذلك من الخوف.»
رأت حاجبه يرتفع وهو يقول:«حتى لو كان ذلك، أليس من الافضل التأكد من ان...؟»
قالت:«كلا.»
ارادت ان تستقيم في جلستها بعنف ولكنها ما لبثت ان تلوّت الما وقد وخزها الألم في كتفها، لترتمي الى الخلف في الفراش وهي تئن.
لأول مرة رأت في نظرته لمحة عطف وهو يقول:«لا بأس. هوّني عليك. اين تسكنين؟»
أجابت وهي تجمع شعرها وراء اذنها من دون انتباه:«ان

هذا يعتمد على...» وكانت قد تكهنت بأن غايفن لا بد قد اخبرهم بأنها تمضي إجازة في هذه البلاد.
قال:«على ماذا؟»
فكرت، الى متى يكفيها ما تملك من المال؟ لقد كانت قد خططت لشهر واحد تقضيه في ضاحية لندن، في موطن الرسام الشهير كونستابل، ولكن لتكتشف بعد ذلك ان الاسبوع الأول قد اتى على معظم ميزانيتها. ولكنها قالت فقط:«ذلك يعتمد على مقدار الحظ الذي، اما ان يضعني في خيمة وإما في فندق. وفي الوقت الحاضر، أقيم في خيمة تبعد ثلاثة او اربعة أميال من هنا كما أظن.»
قال:«ماذا؟ وحدك؟» نظر إليها عابساً وكأنها مجنونة، وتساءلت عما إذا كان غايفن قد اعطاه عنها هذه الفكرة.
اجابت متحدية:«نعم. ولمَ لا؟» جعلتها نظرته تشعر بالاضطراب وهو يقول:«لا اظنك تمضين وقتك بالحكمة الواجبة بالنسبة الى امرأة شابة وحيدة مثلك.»
تنفست ساشا بعمق. لقد كان من الممكن ان توافقه على ذلك منذ سنة. ولكن أمورا كثيرة قد تغيّرت منذ ذلك الحين مما جعلها تعتبر ان الحياة تافهة. وتملكتها المرارة، ووخزها ألم مما جعلها تقول بسرعة وعدم اهتمام:«أحقا؟»
بدا على ملامحه تعبير خشن وهو يقول:«لا اريد ان تتصرف ابنتي او أي من قريباتي على هذا النحو. ولكن يبدو انك تحبين المخاطرة.»
فكرت في تدميرها لخيمته الرائعة تلك. ربما كان يشعر

بالحنق لأنهما، هي وغايفن، كانا يستطيعان، على الأقل، المخاطرة، بينما هو سجين كرسيه ذاك.
صوته العميق قطع عليها افكارها بقوله:«لم يخبرني صديقك بالكثير عنك. سوى ما قال عن نفسه انه مواطن، وقال انك في إجازة لمدة خمسة او ستة اسابيع. وما دمت اقمت في خيمة، فمعنى هذا انك لم تأت الى هذه البلاد لتمكثي معه. وهذا ما يجعلني استنتج انك لم تعرفيه منذ وقت طويل. ولهذا، اتساءل عما يجعل فتاة شابة جذابة مثلك تقوم بإجازة بمفردها، الى هذا المكان البعيد عن وطنها. وكما أعلم فإن النساء عادة، لسن مغامرات في هذا الشكل.»
فكرت متسائلة في ما إذا كان يعتبر نفسه مغامراً. وما لبثت ان اجفلت بعدما انتبهت الى أي حد قد أسرتها جاذبيته المتدفقة.
هزت كتفيها وقد نسيت الألم فيهما، وهي تجيب:«حسن، انا واحدة بهذه الصفة.»
ابتسم قائلا:«ومن الواضح انك دفعت الثمن. ولكنك لم تجيبي على سؤالي؟»
حبست انفاسها وقد تغلغل العذاب في اعماقها. لقد كان سبب هربها من نيويورك سببا حميما بالغ الايلام. سببا يخصها وحدها ولا تريد ان تشارك فيه رجلا انكليزيا بارد الدم مثل ريكس تمبلتون.
قالت:«ان جدتي من هذه البلاد. وأنا رسامة للأطفال. ومن هنا، كانت رغبتي أقوى من ان تقاوم، وذلك لمشاهدة ليس فقط موطن جدتي، وإنما موطن الرسام المفضل لدي والذي عاش وعمل فيه.»

بدا عليه الرضى لهذا الجواب. تحرك بكرسيه نحو النافذة ليستدير إليها قائلا:«حسن، يا ساشا مورغان...؟» تألق شعره في أشعة الشمس. تابع:«إذا كنت لا تقبلين بأي مراقبة طبية، فيجب ان ألح عليك بالبقاء هنا... هذه الليلة على الأقل. ذلك انه لن يمكنك الذهاب الى خيمتك في حين ان الحركة تؤلمك كما هو واضح عدا انك أذيت نفسك في املاكي، ومن هنا فلا بد ان يتملكني شعور بالمسؤولية عنك أكثر مما يتملكك انت نحو نفسك.»

قالت:«انني في السادسة والعشرين من عمري.» نهضت متجاهلة الألم في كتفها، وأخذت تشد حزام سروالها.

قال ساخرا:«يا لك من ناضجة حقا.» وسقطت نظراته على يديها، احمر وجهها لرفع الكلفة بينهما بكلماته تلك.

أجابت:«نعم، وليس لديّ أي استعداد لقبول ضيافتك أكثر من ذلك.» تنفست بعمق وقد شعرت بالاستياء من لهجته المسيطرة، وبدا استياؤها من عجرفته تلك، بمبالغتها في شد قميصها الى أسفل.

في هذه اللحظة دخل غايفن ملفوفا بالضمادات المختلفة الأنواع. وبدا عليه الرضى وهو يراها واقفة على قدميها. ولكنه ما ان أخذ يقول:«كيف اصبحت؟» حتى توقف فجأة وهو يراها تترنح في وقفتها، ثم لا تلبث ان تتهاوى على السرير.

سمعت ريكس يقول بلهجة صارمة:«لا بد ان تبقى ساشا هنا الليلة.» ثم حركة الكرسي وهو يتوجه به نحو الباب، ثم، حين قال:«سأطلب ان تجهز لك غرفة في الطابق العلوي.» وكانت لهجته تشل كل معارضة منها.

إذاً، فقد قرر ذلك بنفسه من دون اخذ رأيها، ولامت نفسها لشعورها بالدوار في تلك اللحظة، مع العلم فيما بعد وفي اثناء فترة المساء شعرت بالسرور من تصرفه ذاك.

لم تفكر في المقاومة وهي ترى نفسها في حوض حمام مترف ملحق بغرفة النوم التي اعطيت لها. وقد ظهر السرور جليا على غايفن عندما استضافهما آل تمبلتون تلك الليلة.

لقد صفر بفمه موافقاً على ذلك قبل ان يتركهما مضيفهما في تلك الغرفة في الطابق الأرضي.

قال وقد بهره ما يرى من مظاهر الثراء، متجاهلاً استفسارها المتهافت عن حاله هو:«يا لهذا المكان. اتعلمين مبلغ ثراء هذا الشاب؟» نظر حوله الى الاثاث الثمين وقد بدت الهيبة في صوته وهو يتابع:«انه يملك واحدة من أكبر الشركات الالكترونية في هذه البلاد. هذه عدا الثروة التي قبضها ثمنا للأراضي التي باعها منذ سنوات. اخبريني كيف استطعت التحايل للحصول على ذلك؟ ان تحصلي على اذن دخول الى أراضي آل تمبلتون؟ لا تظني انني أغار منك!» وضحك متابعا:«ولكنني لا أمانع في ان اكون في مكان ذلك الشاب ولو يوما واحدا.»

تساءلت ساشا، ما الذي كان يعنيه بذلك؟ ان يبقى طيلة النهار على كرسي ذي عجلات مثل ريكس؟ ان شابا في الخامسة والعشرين يعمل في لندن منفذ مبيعات مثل غايفن، لا بد ان يكون بالغ الطموح. ومع ذلك، فقد وجدت نفسها غير قادرة على اخماد فضولها نحو

ريكس. ما الذي حدث له حتى جعله مُقعداً في هذا الشكل؟ وتذكرت ما قاله غايفن باختصار عندما سألته عن ذلك.

قال:«كان حادث سيارة ولم يكن الذنب ذنبه، بل كان ذنب السائق الآخر الذي مضى من دون ان يصاب حتى بخدش. كان ذلك منذ عامين كما أظن، وقد ذكرت ذلك جميع الصحف. وأظن ان من المشكوك فيه ان يستطيع السير مرة أخرى.»

دفعها شعورها بالرثاء الى ان تعرف المزيد عن ذلك الرجل شخصياً.ولكن غايفن غيّر الموضوع، اذ اخذ منها وعداً ان تبقى على اتصال به، وقد أصر على ذلك قبل ان يلتحق بفريقه الذي كان يتابع طيران المنطاد، والذي ابتعد عنه.

بينما كانت تغوص في رغوة الصابون، كان ريكس هو محور افكارها. كانت ملامحه الجذابة لا تفارق ناظريها. الى ان شعرت بالضيق من نفسها، ومن انشغالها به، وسرعان ما طردت كل هذه التصورات من بالها. ربما كان رجلا بالغ الوسامة ولكنها ستترك منزله غدا ليصبح جزءا من الماضي. انها لا تريد ان تتورط معه، مهما كانت حيويته، فهي لا تريد المجازفة بذلك. ان الحب عذاب لا تريده ان يتكرر في حياتها. لقد سبق ان احبت بن ولكنه تركها. لقد قالوا ان حالته كانت مرضا نادرا في القلب. ولكن الذي لم يعرفوه، انه لولاها لكان من الممكن ان يكون على قيد الحياة الى الآن.

الفصل الثاني

شعرت ساشا بتحسن ملحوظ نفسياً وجسدياً في الصباح التالي، خصوصا بعد الافطار الدسم الذي ارسلته إليها شيلا تمبلتون. لقد غسلوا ثيابها كما لاحظت بسرور. وعندما دخلت الحمام رأت في المرآة الاحمرار الذي عاد الى وجنتيها. كان شعرها أسود تفرقه الى جهة واحدة حول وجهها وكذلك حاجباها وأهدابها السوداء اللماعة. وتذكرت منظرها بعد حادثة الإصدام أمس. ما لبثت ان اغتسلت ثم ارتدت ثيابها لتنزل بعد ذلك الى الطابق الأرضي.

كان ضيوف الليلة الماضية بأجمعهم قد رحلوا كما سبق ان أخبرتها شيلا، وقد شعرت براحة غريبة لفكرة انها لن ترى لورين مرة أخرى. ثم وقفت تملأ ناظريها من القاعة المهيبة المبنية من خشب السنديان وقد امتلأت إعجاباً بالأثاث الفخم، والمدفأة الحجرية الرائعة، ثم دعائم السقف الأثرية.

جاءها صوت من خلفها:«إنها من طراز القرن الثامن عشر إذا كنت تتساءلين عن ذلك.»

استدارت ساشا مجفلة لترى ريكس وقد بعثت ابتسامة كسول في ملامحه القاسية رقة ملحوظة.

وضعت يدها على صدرها لاهثة وهي تقول:«لقد جعلتني أجفل.»

لم تكن قد سمعت صوت عجلات الكرسي اثناء اقترابه،

كما انه لم تكن قد رأته منذ تركه لها في تلك الغرفة الليلة الماضية. لقد خطفت انفاسها أناقته البالغة.
قال:«إنني آسف.» كان في رنة صوته تلك الهالة من القوة التي تحيط به مما أرهف أحاسيسها. تابع:«انها من القرن الثامن عشر كما قلت. بناها أحد اجدادي لعروسه وما زالت ضمن أملاك العائلة منذ ذلك الحين. وقد ورثتها عن أبي بعد موته منذ سبع سنوات مع أراض أكثر مما يمكنني إدارتها.» ابتسم واضاف:«صدقيني ان امتلاك بيت فخم مهما كان صغيرا ليس دوما مما يبعث على الحسد كما يظن البعض.»
شعرت ساشا بوجنتيها تكادان تشتعلان وهي تتساءل عما إذا كان قد سمع شيئا مما كان يقوله غايفن الليلة الماضية. وربما لم يكن قد سمع شيئا ولكنها تشعر بعينيه الفولاذتين تتمعنان فيها بحدة.
عاد يقول:«ولكن دعينا نتحدث عنك. لقد سمعت انك اقنعت أمي بأنك في حالة حسنة تسمح لك بالرحيل.»
ادركت من نظراته انه ليس من السهل إقناعه هو ايضا، فقالت:«ليس بي من شيء سوى رضة في الكتف وغدا أكون بخير. هل من المناسب ان استدعي سيارة؟»
قال:«لكي تأخذك الى خيمتك؟» ووخزتها لمحة من الاستخفاف بدت في صوته وقد تذكرت للتو ما كان رأيه في طريقة حياتها اللامبالية. وعاد يقول:«إنني ذاهب الى لندن هذا الصباح وسأوصلك معي لكي أجنبك أي مضايقة. سأكون على أهبة السير بعد ربع ساعة، إن كان هذا الوقت يكفيك للاستعداد.»
كانت سيارة فخمة ثمينة بيضاء اللون، في انتظارها.

وكان هناك رجل في منتصف العمر يعتمر قبعة سائق. أومأ برأسه محيا وهو يفتح لها الباب الخلفي. ابتسم ريكس لذلك الرجل ابتسامة ذات معنى وهو يقول:«لا تستائي من مايكل. ان ما يفوته من الكلام يكمله في الإخلاص. وللمناسبة انه الرجل الذي حملك الى الداخل الليلة الماضية.»
تمتمت قائلة وهي تدخل السيارة:«فهمت.» وأكملت قائلة في نفسها، ذلك فقط لأنك لم تستطع انت ذلك. ولكنها كانت تعرف انه مهما كان وضعه فإنه هو الآمر الناهي.
كان يبدو مستريحاً بعكازيه من دون الكرسي واستدارت لتنظر من النافذة الى الضباب في الخارج بينما كان ريكس يتهالك بثقله على المقعد الى جانبها.
قال بخشونة:«ماذا جرى؟ هل إعاقتي تحرجك؟ لم يبد عليك الكتمان وأنت تتحدثين عنها مع صديقك غايفن، الليلة الماضية؟»
إذا فقد سمعها. نظرت إليه مجفلة لترى شفتيه تنقلبان بمرارة. وأدركت انه لا بد قد سمع كل شيء قاله غايفن كذلك. قالت متلعثمة:«إنني آسفة... إنني لم... أعني لم تكن لدي فكرة...» توهج وجهها لشدة شعورها بالإحراج. لماذا لم تطلب من غايفن ان يكف عن الحديث عنه الليلة الماضية؟
رأت بطرف عينها فمه يلتوي بعجرفة وسمعته يتنفس تنفسا قصيرا بينما كان السائق يطوي الكرسي ذا العجلات ليضعه في صندوق السيارة الخلفي.
قال لها بصوت خشن بينما كان السائق يأخذ

مكانه:«أخبريني يا ساشا هل تحبين ان نتبادل مكانينا؟»
كان لكلامه وقع قطع المنشار مما اقشعر له بدنها. كان يريد ان يجعلها تدفع ثمن الحديث عنه مع ذلك الرجل ليلة أمس. وفكرت في حساسيته البالغة وربما المرة لما حدث له. ومن يلومه؟
شعرت نحوه بالشفقة وهي تزن كل ثروته وبيته وسيارته الجميلة، مقابل المتعة البسيطة في ان يتمكن من المشي.
قالت بصراحة وعيناها عالقتان بمساحة زجاج السيارة التي تتحرك قبالتها:«كلا.»
قال يكلم السائق:«اسمعت يا مايكل؟ انها على الأقل صادقة.» وانفجر بضحكة خشنة خالية من المرح جعلت ساشا تشعر بالضيق.
فكرت في أنه نجح في جعلها تشعر بالخجل والحرج. شعرت وكأنها تريد ان ترد عليه بجواب مفحم تعترض فيه على جعلها مدار حديث للتسلية بينه وبين سائقه.
عند البوابة كان عليهم ان يفسحوا المجال لجرّار ليمر بجانبهم مما سمح لساشا ان تقرأ الكلمة المدونة على لوحة سوداء مزخرفة على أحد الاعمدة وكانت الاستراحة.
قال ريكس:«انه إسم ساخر نوعاً ما، ألا تظنين ذلك؟»
لم تكن تدرك مقدار استغراقها في التفكير حتى اعترض صوته العميق أفكارها. وأدركت من الخطوط المتوترة حول فمه أنه مازال يتحدث عن إعاقته.
وعند ذاك، بعد ضحكة أخرى مماثلة، قال:«ما دمتِ قد أصبحت تعلمين كل شيء عني فأخبريني إذا

شيئاً عن ساشا مورغان. لقد قلت انك رسامة اطفال في الولايات المتحدة. ماذا يعني ذلك بالضبط؟»
شعرت بالسرور لتحويل الحديث الى موضوع اكثر راحة لها. تنهدت بارتياح وهي تقول:«ذلك يعني أنني ارسم صورا تتضمنها قصص الأطفال، إما بإرشاد الناشر وإما بعد ان تنتهي المخطوطة. ولقد كتبت البعض بنفسي... عدة كتب صغيرة الحجم وضعت شروحها بنفسي.»
استمرت تتكلم بسرعة وهي ترى فمه ملتوياً. لم تكن تريد ان تراه متأثرا في حين ليس ثمة ما يدعو الى ذلك. وتابعت تقول:«إنها من نوع كتب الاطفال الموجودة في المتجر الاستهلاكي.» ولكنها لم تقل ان خيالها قد نضب منذ موت بن. فلم تستطع متابعة وضع الكتب التي أرادت ان تستمر بكتابتها بنفسها، وأن آخر كتاب قد رفضه الناشر. وتابعت تقول:«ووضعت كذلك بعض التصاميم للتقاويم السنوية وبطاقات الأعياد ومثل هذه الأشياء.»
قال ريكس صادقاً وعلى شفتيه ابتسامة باهتة:«إن هذا العمل يدعو الى الإهتمام حقا.»
قالت وعلى شفتيها ابتسامة رضى عن عملها الذي تعشقه:«إنه لكذلك، وهو ايضا يوفر كل ما يكفي لمعيشتي.»
قال:«هل تسكنين بمفردك؟»
فكرت في ان ليس ثمة ما يجتذب اهتمامه. وبعد دقائق قليلة، ينزلها من سيارته وقد يشعر بالراحة للخلاص منها. لكنها اجابت:«نعم، نعم، هو كذلك.» وفجأة شعرت

بنظرته القاسية النفاذة. هل تراه لاحظ ما تتعمده من عدم مبالاة في صوتها؟ والمشاعر التي كانت تحاول جهدها اخفاءها؟ وتابعت قولها بسرعة:«أن أمي تسكن خارج نيويورك وأبي في نيو إنكلاند. إنهما مطلقان وكل منهما متزوج. كنت أعيش مع أمي بعد طلاقها منذ عشر سنوات. وعندما تزوجت مرة أخرى انتقلت الى خارج نيويورك وكان في إمكاني الذهاب معها ولكنني فضلت البقاء.»

حبست انفاسها مفكرة في أنه كان ثمة من بقيت لأجله. وفجأة، شعرت بحماقتها وهي تبوح الى ريكس بشؤونها الخاصة... وهو الرجل الغريب الذي قد لا تراه ابدا بعد ان ينزلها من سيارته.

أوقف افكارها صوت السائق مايكل يقول:«هل هو ذاك؟ هناك؟»

اجابت وهي تنظر الى المنزل ذي القرميد الأحمر الذي أشار إليه، والذي يحيط به حقل قامت فيه خيمة زرقاء:«نعم. إنه هو.»

قال ريكس متبرما بينما السيارة تقف بجانب سيارة صغيرة بالية المظهر:«حسن، حسن. إنك تحبين العيش وسط المخاطر. أليس كذلك؟»

قالت وهي ترى السخرية في عينيه:«شكراً ولكن ميزانيتي لا تسمح لي بدفع ثمن ما هو أفضل.»

نظر إليها بذهول قائلا:«اتعنين انك اشتريتها؟؟»

قالت وقد خنقتها سخريته من سيارتها الصغيرة:«حسنا لقد وجدتها أرخص من استئجاري سيارة، وقد أجريت فيها بعض الإصلاحات. وهي الآن لا بأس بها على

كل حال، شكراً على كل ما قمتم به لأجلي...» ووجدت صعوبة في فتح باب السيارة، أجفلت وهو يقترب منها فجأة ليدفع الباب فيفتح بسهولة.

سألها:«ما الذي انت بسبيله الآن؟» وكان في لهجته بعض الإهتمام.

اجابت وهي تترجل من السيارة تحت رذاذ المطر المتساقط:«سأقوم بما جئت لأجله، أعني الرسم.» لم تكن تعني رحلة عادية لرسم المناظر الطبيعية. لقد سبق ان قامت بذلك من قبل في قرية والدها الذي قال ان هذه طريقة حسنة لكي تتعرف على زوجة أبيها الجديدة، وذلك منذ عدة سنوات. وكانت رحلة حسنة. لكن هذه المرة، لم تكن تريد الا ان تنسى نفسها في الأرياف الانكليزية.

تابعت قائلة:«أظنني سأمكث هنا عدة أسابيع اخرى. وإذا كانت هذه الكومة من الحطام... واشارت الى سيارتها الصغيرة،«لا تستطيع ان توصلني الى سمسار يستطيع بيعها و...»

قطعت حديثها فجأة وهي تنظر الى السيارة الصغيرة بحيرة. ثمة خطأ، يا للهول...» وجاءها صوت ريكس من نافذة السيارة:«ماذا حدث؟»

قالت:«لا أدري. ان النافذة مفتوحة. وأنا لم اتركها كذلك. إنني على الأقل لا أتذكر انني فعلت.» بان عليها القلق وهي تستند الى باب سيارته بعدما لم تعد ساقاها تستطيعان حملها.

سألها بنفاد صبر:«إنك لا تتذكرين انك فعلت؟»

اجابت بحزم:«انني اعرف انني لم أتركها مفتوحة.» فتحت

باب سيارتها لترى الأسلاك المقطوعة حيث كان المذياع. السترة الصوفية والنظارة الشمسية والخارطة التي تركتها مطوية على المقعد الخلفي... كلها كانت مفقودة. قالت متأوهة:«أي نوع من الناس يفعل ذلك؟» وتحولت الى صندوق السيارة الخلفي تفتحه لتهتف:«أوه.. كلا...» رفعت باب الصندوق الذي كان مفتوحاً لتجد ان أدوات الرسم متناثرة حيث كان القفل مكسورا. «جواز سفري! الشيكات السياحية.. كل شيء! لقد أخذوا كل شيء!» وإلى هذا جميع أدوات التخييم التي كانت تحفظها هنا. وأخذت تبحث بتوتر عما قد يكون بقي من أشيائها. وأطلقت صرخة قصيرة وهي تمسك بدفتر قائلة:«هي ذي تخطيطات رسومي.» كانت سعيدة، تخطيطات رسومها قد بقيت. وضمتها الى صدرها بحنان كأم تضم طفلها. لقد زاد فرحها بها، ان اللصوص تركوا لها على الأقل ثيابها.

قالت متأوهة:«لقد أخذوا كل شيء ما عدا تخطيطاتي وحقيبتي.» رفعت يدها تلامس شعرها الذي بلله رذاذ المطر كما بلل وجنتيها.

لم تنتبه لسيارة البي أم دبليو وهي تقترب منها، الى ان سمعت ذلك الصوت الآمر يقول:«عودي الى السيارة.» اغلقت صندوق سيارتها وهي تغالب دموعها، لتعود وتجلس على مقعدها الوثير في السيارة الدافئة.

قالت متمتمة بما يعتمل في ذهنها:«ما الذي سأفعله الآن؟»

قال:«حسناً، علينا اولا ان نبلغ الشرطة فتسجلي فقدان جواز سفرك والاشياء الأخرى المهمة. ما الذي جعلك

تتركين اشياء مثل جواز السفر في السيارة؟» تنفس بارتياب وهو يتناول الهاتف الموضوع بين المقعدين الاماميين ثم طلب رقما معينا وقد بدا عليه الهدوء وضبط النفس.

قالت بصوت خافت:«لقد وضعته في صندوق السيارة. ظننت ان وضعه فيه هو أكثر حفظا له من حمله في أنحاء المنطقة وفي أثناء نزهتي في المنطاد. على كل حال، لم أكن لأدرك انني سأغيب طيلة الليل.»

قطع كلامه قائلا:«الشرطة؟» وهو يدلي في الهاتف باسمه وعنوانه ويوضح ماحدث قائلا:«نعم. انها ضيفة عندي.» واستقرت تلك العينان الغامضتان على شعرها المبلل وملامحها الشاحبة، لعله يظنها حمقاء. عاد ريكس يقول:«هل يمكنكم إرسال أحد الآن؟»

فكرت ساشا في أنهم سيقومون بذلك لأجله، وتمنت لو أنه كان قد تابع طريقه قبل اكتشاف هذه الورطة الجديدة التي واجهتها.

قال بحزم:«الافضل ان تجمعي اشياءك الباقية وتعودي الى منزلي. اتركي السيارة الصغيرة وسأرسل من يأخذها، فحالتك لا تؤهلك لقيادتها. مايكل؟» وبإشارة من رأسه كان السائق ينزل متوجها الى صندوق السيارة الصغيرة ويحضر الحقيبة. ولكن قبل ان يصدر أي احتجاج من ساشا وقد شعرت بالضيق لأنها ارهقت ذلك الرجل الجالس الى جانبها، كان يقوم باتصال آخر. وقال:«سأتأخر قليلا عن موعدي.»

فكرت في أنه ربما يتصل بمكتبه لإبلاغ من عسى ان يكون في انتظاره.

مضت تراقب السائق وهو يحمل الحقيبة ويغلق باب الصندوق وكأنما ما بقي فيه لا يستحق ان يؤتى به.
قالت لريكس بينما السائق يعود الى مقعده خلف المقود:«إسمع، إنني لا اريدك ان تتحمل كل هذا العناء لأجلي. لقد سبق ان اتعبتكم معي.» ونظرت إليه آسفة. لقد أفسدت نهار رجل غريب لأن جواز سفرها قد سرق، وهي الفتاة الاميركية اللامبالية التي سبق ان استضافها عنده ليلة لأنها أضرت بنفسها، فكان ان شعر نحوها ببعض المسؤولية.
بدت في عينيه ومضة من السخرية وهو يجيب:«وما الذي كان ينبغي لي عمله؟ هل أعيدك الى الغابة التي سقطت فيها؟ اظن ان عندك وصولات تلك الشيكات السياحية؟»
هذه ضربة اخرى في ورطتها هذه. وقالت مرتبكة:«نعم، كلا. أعني، كنت اعلم انه لن يكون لي هنا مكان معين فخشيت من المجازفة بإحضارها معي مخافة ان يحدث لها ما حدث الآن وتفقد، لهذا تركتها في المنزل.»
قال:«ولكن، لا بد ان أرقامها عندك.»
اجابت:«كلا.» لتتلقى منه نظرة أدركت منها مقدار البلاهة التي يظنها بها.
هذا ما ابتدأت تشعر به، وهو يسألها:«هل تملكين أي مبلغ آخر من النقود؟»
قالت وهي تلقي بنظرة الى حزامها ذي الجيب الذي يحتوي مبلغا لا يكاد يكفيها:«عندي بعض النقود.»
كان عليها ان تتصل هاتفيا بأمها لتحملها عناء الذهاب الى بيتها، حيث ترسل إليها تلك الوصولات.

أدركت يائسة انها يجب اولاً ان تقوم بذلك قبل ان تقوم بأي اتصال بالمصرف لإبلاغه بما حصل.
قال:«إنك في ورطة ايتها السيدة.»
التفتت تحدق من النافذة الى الجو الغائم في تلك المنطقة الريفية، فلم تلاحظ ما بدا على ملامحه من التوبيخ العنيف. وبعد لحظات قليلة سمعته يقول:«هل يمكنني إلقاء نظرة؟» ومد يده الى دفتر التخطيطات الذي كان على المقعد بينهما.
اومأت برأسها وقد شعرت بتشنج في معدتها. فكرت في أن مشاكلها لاتؤثر فيه كما تتأثر بها. نظرت إليه وهو يقلب الصفحات، ويمعن النظر في رسوم الأزهار بالألوان المائية والنباتات والحشرات، بكسل ولا مبالاة. لقد كان محقا إذ قال انها اوقعت نفسها في ورطة وذلك نتيجة اخطائها. كما انها لم يعجبها عند وصولهم الى البيت إن يعيد إليها الدفتر من دون أي تعليق. كان واضحا ان رأيه في تخطيطاتها تلك كان يشبه رأيه فيها. وشعرت بالإكتئاب من ذلك.
قال لها:«أدخلي وسأوافيك بعد دقائق.»
لم يستغرق وصول الشرطة اكثر من هذه الدقائق لتشعر إزاء اسئلتهم المتعاطفة معها نوعا ما بمقدار مضاعف لما كانت عليه من استهتار. كانت اسئلتهم لا بأس بها لولا ما أبدوه من احترام فائق لريكس. كانت تجلس في تلك القاعة الجميلة بألوانها الخضراء والمشمسة. تراقب شيلا وهي تسكب الشاي. مما جعل ساشا تتمنى لو كانت في أي مكان آخر غير هذا المكان الذي تفرض فيه نفسها على ضيافتهم الكريمة.

قالت لها المرأة بعدما رحل رجال الشرطة:«لماذا لا تتصلين بوالدتك هاتفيا يا عزيزتي؟» سألتها ذلك وهي تجمع اكواب الشاي الثمينة لتضعها على الصينية.
وأجابت ساشا:«الى نيويورك؟»
لم تكن ساشا تريد ان ترزح أكثر من ذلك تحت دين ضيافتهم. فهي غير متأكدة مما إذا كانت النقود التي في حوزتها تكفي ثمنا لتلك المخابرة.
جاء صوت ريكس الآمر يسمع صداه في تلك القاعة العالية السقف يقول بلهجة لا تقبل المناقشة:«إفعلي ذلك.»
هرعت ساشا شاكرة الى الهاتف الموجود على المنضدة الأثرية الى جانب الأريكة، لتتأوه، وقد ساورتها الخيبة وهي تسمع الرنين الذي أجابها. التفتت الى ريكس قائلة:«لا بد أنها خارج المنزل إذ ليس ثمة جواب.»
قال وهو ينظر الى ساعة يده:«إذا حاولي مرة أخرى واستمري بالمحاولة الى ان تتلقي جوابا. أما انا فعلي ان أذهب.» ثم وجه حديثه الى والدته وهو يحرك كرسيه:«ابقيها هنا الى حين عودتي ولن أتأخر هذا المساء.» ونظر الى ساشا التي تحولت لتجلس على الأريكة، وقال:«لا تقلقي.»
كان ثمة لمحة من التفهم والتعاطف في ذلك الصوت القوي وهو يعدها قائلا:«سنتدبر الأمر.»
شعرت عند ذهابه بالوحدة. ومع انها حاولت الاتصال بأمها، فقد كانت تنتهي بالخيبة في كل مرة. ثم اتصلت بالسفارة الاميركية لتبلغ عن سرقة جواز السفر.
جاء بعد الظهر شاب يبلغها بأن اللصوص اتلفوا

اثناء سرقة المذياع من سيارتها الأسلاك الكهربائية في السيارة، ولهذا تلقوا الأمر من السيد ريكس تمبلتون بإدخال السيارة الى المرآب لإصلاحها.
وهكذا اصبحت ساشا من دون جواز سفر ونقود. بل من دون سيارة ايضا. وشعرت باليأس وهي تفكر في الأمور لا يمكن ان تكون اسوأ مما هي عليه الآن.
مع حلول المساء، وبعدما كررت ساشا محاولة الإتصال بوالدتها لتخرج بالنتيجة ذاتها، إذا بها تتذكر ان ان أمها كانت قد أخبرتها بأنها ستسافر في رحلة قصيرة أثناء وجود ابنتها في انكلترا.
شعرت بالخوف يعتصر قلبها. وما لبثت ان اخرجت من مفكرتها رقم أقرب جارات أمها التي وجدتها، ولكن لتؤكد لها مخاوفها وهي ان أمها غائبة حقا عن المنزل. ولكنها، الجارة، لا تملك أي عنوان يمكن ساشا الإتصال بوالدتها عليه.
اعادت ساشا سماعة الهاتف الى مكانها وقد صدرت منها آهة عميقة. ثم جلست وقد تقوست كتفاها في يأس. ما الذي يمكنها ان تفعله الآن؟ كانت تتساءل بحيرة بالغة عندما سمعت صوتا عميقا عند الباب يسألها:«هل ثمة متاعب؟»
قفز قلبها عند رؤيتها ريكس من دون ان تعرف السبب. ليس في إمكانه مساعدته في وضعها هذا. لكن ثقتها البالغة به جعلتها تشعر بالارتياح عند رؤيته.
وقالت:«الأمر اسوأ مما توقعت.»
قال:«هل أمك غائبة؟»
لا بد أنه استنتج ذلك من حديثها هي في الهاتف

وقالت:«ليس هذا فقط، وإنما لا أعرف مدة غيابها ولا أستطيع الإتصال بها.» وزاد على كل مشاكلها، ولو ان هذا لم يقلقها كثيرا، عودة الألم الى كتفها.

قال:«إنه درس قاس لك، أليس كذلك؟» كان لومه هذا لها كوضع الملح على الجرح..

قالت له وهو يدخل بكرسيه:«إذاكنت ستلقي عليّ محاضرة في المسؤولية، فوفر ذلك على نفسك. إنني اعرف مدى حماقتي وأشعر لذلك بالغثيان، من دون حاجة الى من يخبرني الى أي مدى كان أهمالي.»

والآن؟ فليلق بها خرج منزله. فكرت في ذلك شاعرة باليأس من وضعها هذا الذي يكاد يحطمها. كانت تشعر بنظراته النافذة تتنقل بين قميصها وسروالها الجينز وبشرتها المتوهجة من الحدة.

أمرها بهدوء:«إجلسي.»

اطاعت وهي تشعر بالدهشة والضيق وهي ترى نفسها تفكر برغم كل مشاكلها، كيف تسقط المرأة بسهولة فريسة لهذا الصوت العميق. وشعرت بالإختناق بينما كان يستدير ليغلق الباب خلفه.

قال وهو يلقي نظرة قصيرة على كتفها المصابة:«إنك لم تجدي أي راحة حتى الآن في بلادي، أليس كذلك؟ ذلك الاصطدام في البداية، ثم الآن هذه المشكلة. أظن ان كل شيء كان مؤمنا عليه في شركة تأمين.»

قالت:«نعم.»

قال:«وما الذي تنوين فعله الآن؟»

قالت:«اظن ان عليّ الذهاب الى السفارة.»

ماذا يفعل شخص وحيد في بلاد غريبة وقد فقد كل شيء

خصوصاً جواز سفره؟ الشيء الوحيد الذي في إمكانها عمله هو ان تبيع سيارتها حالما تخرج من المرأب، ثم تشتري تذكرة سفر الى بلادها.

قال:«يمكنك ان تمكثي هنا.»

اجفلت من عرضه هذا ورفعت رأسها إليه مصعوقة. كانت ملامحه صارمة وجادة الى أقصى حد.

قال:«ان الغرفة التي رقدت فيها الليلة الماضية شاغرة.» وتابع حين منعتها الحيرة البالغة من الجواب:«لقد نقل مايكل حوائجك الى تلك الغرفة، في منتهى اليسر. ولا بد لك من سقف يظللك في أثناء عملك للخلاص من ورطتك هذه.. لا تقلقي بعد الآن على إقامتك... وعلى بقية إجازتك إذا كان يعجبك هذا.»

أنهى كلامه مبتسما وهو يمسد عضلات رقبته. وتابع:«اتفقنا؟»

لم تترك لها عيناه الرماديتان فرصة للتفكير. قالت مترددة:«لا أدري. إنني...» وعضت على شفتها.

لقد كان عرضا كريما. ولكن، من غير المعقول ان يكون قد عرض عليها البقاء هنا من غير مقابل، وهي لا يمكنها ان تدفع تكاليف إقامة مرفهة في مثل هذا المنزل.

قالت:«تعني في إمكاني ان أقيم معكم حتى أحصل على بديل لشيكاتي المفقودة؟»

دقت ساعة الحائط ببطء وثبات تؤكد الصمت الذي ساد بينهما... قبل ان يجيب:«ان دفع الأجر ليس هو بالضبط ما يجول في ذهني.»

سرى في عروقها توتر وهي تنظر إليه قائلة وقد التوت شفتاها:«وما الذي يجول في ذهنك بالضبط؟»

لم يغفل عن ملاحظة تلك الرعشة الخفيفة في صوتها. والأسوأ من ذلك، كما أدركت، تفكيرها المتردد فيه كرجل. وبدت إمارات السخرية حول فمه رغم نظراته الجامدة. شعرت بتوتر أصابعه وهي تشتد فجأة على ذراعي الكرسي، وهو يقول:«وما الذي جعلك واثقة الى حد تفترضين فيه أنني في وضع يمكنني فيه من... استغلالك؟»

بلعت ساشا ريقها وقد تورد وجهها. انها بالطبع، لم تفترض ان حياته يمكن ان تكون قاحلة في شكل أعمق مما يبدو لأول وهلة. ولا بد ان هناك آثار جروح عاطفية بالغة العمق والمرارة.

قالت متلعثمة:«انني.. إنني لم أكن أعني...» وتلاشت الكلمات في ذهنها. لماذا تقول دوما الاشياء الخطأ؟

قال باقتضاب:«دعي ذلك الآن.» وأغفل اعتذارها متحولاً الى أمه التي دخلت تبلغه بأنه مطلوب على خطه الهاتفي الخاص. استدار خارجا بعدما طلب من أمه ان تأخذها الى غرفة الحديقة.

تبعت المرأة في الممر الطويل وقد تملكتها الحيرة. كانت الغرفة التي دخلتاها يغمرها الضوء والهواء الطلق والتي تقع خلفها حديقة مغروسة بالأشجار تمتد الى الغابة وتخرخر فيها الجداول الى الوادي الخصيب.

قالت المرأة:«كانت هذه قاعة واسعة جداً ولكن ريكس حوّلها الى جناح خاص به بعد... حسنا، بعد حادثة الإصطدام التي حصلت له.» ودخلتا من الباب المفتوح الى الغرفة، غرفة نومه، وأدركت ساشا انها الغرفة ذاتها التي سبق ان وضعوها فيها الليلة

الماضية. وعجبت لماذا طلب من أمه ان تدخلها إليها. تأملت ساشا المكتبة الممتدة من الجدار الى الجدار. الأثاث الخيزراني والمدفأة الرخامية.

قالت المرأة:«لن يتأخر ريكس.» ابتسمت ساشا شاكرة بينما خرجت المرأة. اخذت ساشا تمرر يدها على احدى الكراسي تلامس نعومة الخيزران. وبدت الغرفة بالسجادة الخضراء التي تغطي أرضها، وألوان الأثاث الطبيعية والنباتات الخضراء في أركانها، وكأنها امتداد للحديقة..

جاءها صوته:«هل كنت تعجبين أم تنتقدين بنظرتك الفنية هذه؟»

كانت مستغرقة في ما حولها، فلم تنتبه لاقتراب الكرسي ذي العجلات الصامتة. التفتت لترى ابتسامة ريكس الباردة المتفرسة فقالت:«الاثنان معا.»

كانت مثقلة بمشاكلها بحيث لم تستطع مبادلته الابتسام، مما قد يكون فسره على انه توتر في أعصابها.

بعدما نظر نحو الغرفة المجاورة وهو يقول بجفاء:«ألا يجعلك إغلاق ذلك الباب تشعرين بأمان أكثر؟»

لم تتحرك ساشا من مكانها، وقد تضرج وجهها بعدما تذكرت ملاحظتها تلك في قاعة الجلوس.

ولكن، قبل ان تعود الى طبيعتها، تابع ريكس قوله:«اردت معرفة ما الذي أردته مقابل ضيافتي لك. ولكي أنفي أي تصور مخطىء عن سبب تقديمي سريرا الى أي امرأة شابة قد تكون بحاجة ماسة الى العون...» وأشار بيده الى مكان خال الى جانب المدفأة قائلا:«أترين هذه الزاوية هنا؟»

اقتربت ساشا من المدفأة وهي تشعر بصعوبة في مقاومة جاذبيته الأخاذة. قائلة:«نعم ما الذي كان في هذا المكان؟»

قال:«كان يقوم تمثال. وكنت اتساءل دوماً عما يمكن ان أقيم مكانه. وقد قررت الآن شيئا قد ينال إعجابك. إنني لا استطيع ان أذهب الى المناطق الريفية كما ترين، ولهذا قررت احضار المناطق الريفية الى منزلي هنا. اريدك إن ترسمي على جدار تلك الخلوة لأجلي، ترسمي شيئا يمثل المناظر الخارجية، ليكون امتدادا للغرفة. وسأمنحك الحرية لتصميم ذلك ويمكنك إنجازه في أوقات فراغك. وحسبما تشعرين بالرغبة، وهذا لا يتعارض مع أي خطة او عمل يعرض عليك اثناء وجودك هنا. قومي بهذا لأجلي وسأمنحك المنامة والإقامة الى نهاية إجازتك.»

ألقت عليه نظرة جانبية، وقد تهدل شعرها الحريري الأسود على كتفيها، وهي تقول:«وما الذي جعلك تظن ان لدي الكفاءة لهذا العمل؟»

قال باسما:«شهاداتك.»

أدركت انه يعني تخطيطاتها التي كانت لا تزال موضوعة على المنضدة في القاعة. إذا، فقد اعجبته عندما رآها هذا الصباح رغم أنه لم يقل شيئا عليها ذلك الحين.

قالت:«ولكنني...»

كانت لا تزال تجد صعوبة في قبول عرضه هذا.

اقتربت من ذلك المكان الضيق ومررت يدها على الجدار الناعم وهي تقول:«إنني لم أقم بأي عمل من قبل على مثل هذه المساحة العريضة.» وشعرت بالخوف. كيف

يمكنها ان تتصرف مع هذه الزخارف؟ فتضيف بألوانها المائية البسيطة رسوما تكمل بها رسوم تلك الغرفة التي لا عيب فيها؟

انتبهت لكرسيه تقترب منها. وهو يقول:«ما هي المشكلة؟ ألا تنوين مواجهة التحدي؟»

استدارت إليه رافعة رأسها بكبرياء قائلة:«ليست تلك هي المسألة.»

كيف يمكنها ان تخبره أنها تجد في السكن معه، تحت سقف واحد، رهبة أكبر من رهبتها إزاء العمل الذي يكلفها به؟

عاد يسألها:«ما هي إذن؟ لقد رأيت من تخطيطاتك ورسومك ان دراسة الطبيعة هي مجالك. إذا وضعنا غصون أشجار او أي شيء آخر هنا.» ومال الى الأمام يشير الى قصده. ويتابع:«وربما إذا جاءت الأعشاب من هذه الناحية... شيء لافت للأنظار هنا... هنا في الوسط...» وأشار بيده بحركة دائرية «... ربما لون رمادي أو أصفر باهت.»

قالت وقط قطبت جبينها إزاء اقتراحه إضفاء صبغة حية على هذه الخطوة:«هذا صعب، إذا أردت ان تراه. ربما كان هذا المكان منعزلا، ولكن قد يدخله الضوء من النافذة.. سيبدو من دون لون إذا ما انعكست أشعة الشمس على ذلك الجدار.»

كانت تشرح ذلك وهي تقترب من جدار قريب من القاعة وتتابع:«وفي أوقات اخرى تضيع الألوان في الظل. إن فكرة الأعشاب هي رائعة، ولكن ما تحتاجه في الوسط هو منظر صارخ، إما أسمر

ضارب الى الحمرة وإما قرمزي. لمسة واحدة فقط، وإنما من القوة بحيث تجذب النظر لأول وهلة.»
ابتسم لها ببراءة وهو يقول:«إذا، فستقومين بذلك.»
وظهرت في عينيه نظرة ماكرة أدركت منها انه تعمد ان يثير حماسها بآرائه تلك التي ينقصها الذوق، عالما بأن كبرياءها الفنية لن تجعلها تمتنع عن التدخل لتقويم رأيه.
قالت تعاتبه وقد شعرت بالخجل إزاء مهارته في ذلك:«لقد تعمدت ذلك، أليس كذلك؟»
وتأكدت من ظنها هذا، حين رأت ذلك الفم القاسي يفتر عن ابتسامة منتصرة. تابعت بقلق:«افرض ان عملي لم يعجبك؟»
قال ببرود:«إنني عند ذاك، أطلب ان يطلى الجدار تماما بالدهان، وعليك بعد ذلك ان تجدي طريقة أخرى لوفاء ديني عليك.» وابتسم بطريقة جعلت خفقات قلبها ترتفع.
مد يده وهو ينظر ساخراً الى وجنتيها المتضرجتين وقال:«هل اتفقنا؟»
ترددت ساشا لحظة ثم تمتمت موافقة واضعة يدها بيده. وكانت من قبل قد لاحظت برودا في قوة يده هذه، اما الآن فهذه الأصابع أمسكت بأصابها مدة أطول قليلاً مما بعث التوتر في أوصالها.
فكرت فيما بعد، ان هذا كان ردة فعل قوية تجاه كل ما حدث. وقبل كل شيء لوسامته المفرطة. ولكن، لو كان بن لا يزال حيا، لكانت الآن زوجته السيدة ريتشاردز. وساورها الألم عند هذه الفكرة، مهما يكن من قوة تأثير

ريكس، فإنها ببساطة لا تستطيع ان تسمح لنفسها بالإقتراب من أي رجل مرة أخرى، بعد كل ما حدث... إن شعورها بالذنب لن يسمح لها بتكرار ذلك الأمر.

الفصل الثالث

ابتدأت ساشا العمل بعد ذلك بيومين، اذ امضت اليوم الأول في انهاء معاملة جواز سفرها مع السفارة، وبعد ذلك في شراء الأدوات والألوان الضرورية للعمل، وذلك بعدما أعطاها ريكس المال اللازم.

باشرت العمل بالألوان المائية، اخذت تضع برشاقة لمسات من اللون الأصفر الذهبي على الجبس، لمسات دقيقة ماهرة من الفرشاة اظهرت اول ملامح الطبيعة، وهي متأكدة من ان ريكس لن يقبل بديلا عن الكمال، فقد كان يعلم تماما ما يريد. لقد عرفت ذلك من الحديث الذي سبق ان دار بينهما عن الرسم والألوان. بعد انقضاء ساعتين، توقفت عن العمل، وهي تتراجع الى الخلف تنظر متأملة ما انجزت. شعرت بالتوتر وهي تسمع صوت عجلات الكرسي تنبىء باقتراب ريكس.

دخل الغرفة قائلا:«ألم تتناولي القهوة بعد؟»

حرت رأسها نفيا وقد طغت عليها شخصيته الجارفة. كان قد خلع سترته لشدة الحر الذي دفعها الى ان تفتح النافذة منذ فترة.

قالت:«لم اشأ ان اتوقف عن العمل قبل ان انتهي من هذه البقعة المعقدة.» لقد اطاعها صوتها اخيرا وهي تضع بفرشاتها لمسات بالغة الدقة لتبدو للناظر اعشابا حانئة.

قال وهو يتوجه الى ناحية يمكنه منها ان يزن عملها بعينه النقادة:ها انك قد وجدت طريقك اخيرا!»

كانت تقف جانباً ترقبه بتوتر، ثم قالت:«لقد قلت انك لن تعطي رأيك قبل ان ينتهي العمل تماما.» وكانت تذكره بذلك بما سبق ان وعدها به منذ يومين.

قال بابتسامته الأخاذة وهو يتحول ليواجهها:«طبعاً.» تأمل قامتها الجميلة وسروالها القصير. الذي ينسدل عليه قميصها الملطخ ببقع الدهان.

قال:«لقد جئت لأخبرك انني تلقيت خبراً من المرآب، بانتهاء تصليح سيارتك وهي في الانتظار. وقد ارسلت من يحضرها.»

قالت:«أوه، شكراً، ما كان لك ان تشغل نفسك بذلك... اعني...» لماذا تشعر دوما بالغباء والارتباك كلما كان حاضراً؟ وتابعت:«اعني أنني لست بقادرة على ان ادفع اجرة التصليح بعد.» كانت قد عرفت من آخر اتصال هاتفي الى اميركا ان امها لم تعد الى البيت بعد. وهي ما زالت مدينة له بالمال، بعد ما اعطاها مبلغا صغيراً حين ذهبت الى لندن أمس. عادت الى عملها تشاغل به وهي تسأله:«حسنا، ما رأيك؟»

قال بلهجة بدت لها ساخرة:«اظنك قلت انك لا تريدين انتقادا.»

لقد فعلت ذلك، يا لحماقتها.

قال:«انني لا احب التدخل في عمل ما، قبل ان يتم هذا العمل.» وتوقف ينظر الى وجهها البيضوي المتألق يحيط به شعرها الأسود اللماع، وتابع:«هل اربكك انا الى هذا الحد؟»

كادت الفرشاة التي تمسك بها ساشا ان تنزلق من يدها عند سماعها سؤاله ذاك المضطرب بالعاطفة الجياشة.

قالت كاذبة:«كلا، طبعاً. لماذا تظن ذلك؟»
اجاب:«لنقل إنها خبرة.»
ألقت عليه نظرة سريعة وهي تقول:«وهل خبرتك واسعة في هذا المضمار؟»
ضحك وقد تجلت الحيوية في ملامحه، وقال:«ان في رأسك فكرة سيئة عني، أليس كذلك؟»
قالت:«انا؟» وأخذ قلبها يخفق كقرع الطبل، ولم تستطع الإمساك بالفرشاة كما يجب، وبطريقة ما، استطاعت ان تتمالك نفسها لتقول:«في الحقيقة، لم أفكر في ذلك كثيرا.»
قال بابتسامة متحفظة:«وهذا يلزمني حدي، أليس كذلك؟» شعرت بأنه غير مستعد لأن يترك هذا الموضوع وهو يقترب منها بكرسيه حتى لتكاد تشعر بالحرارة المنبعثة من جسده. وعاد يقول:«اتساءل عما يمكن ان تفعليه لو انني...؟»
«ريكس... أوه، آسفة.» كان هذا الصوت الذي قطع حديثهما من امرأة انيقة متوسطة السن تقف على عتبة الباب، وقد بدا قميصها الأحمر ملائما لشعرها الاصهب القصير. وتابعت:«انني آسفة لتدخلي. لم ادرك انك لست بمفردك.» كانت تتحدث بينما ساشا تحاول ان تتخلص من تأثير طغيان شخصية ريكس فيها. وتابعت المرأة:«كنت فقط اريد ان اسأل إذا كان عندك شيء احمله معي الى المكتب...»
قال وقد عاد الى شخصية رجل الاعمال المسؤول:«نعم يا ديبورا. هنالك بعض الاوراق. إنما الآن تعالي تعرفي بمثيل الرسام مايكل انجلو.»

ضحكت المرأتان، وقد رأت ساشا في ديبورا إمرأة طيبة.
تابع:«لقد ساعدتني ساشا على التفكير في طريقة نتغلب فيها على ذلك الفراغ في تلك الخلوة. أقدم إليك يا ساشا سكرتيرتي ديبورا. داي»
وضعت ساشا فرشاتها جانبا لتصافح المرأة محاولة إخفاء ابتسامتها المستغربة لهذا الإسم الغريب.....
قالت المرأة وقد لاحظت ذلك:«هيا ابتسمي كما يفعل الجميع. ولكن سخطي أصبه على زوجي السيد داي وحده عندما نكون معا.» وضحكت ساشا لهذا. حتى ريكس نفسه سر بهذه النكتة. وقالت هي:«ما زلنا بعد اربع وعشرين سنة من الحياة الزوجية، زوجين ناضجين إنما في سن المراهقة. ولا أدري من منا السبب في هذا النجاح. أنا أم هو؟»
ضحكت ساشا مرة أخرى وشاركها ريكس في ذلك، وهو يقول:«ان ديبورا ذات كفاءة يعتمد عليها وأحيانا تبالغ في ذلك. لكنها ايضا تعرف كيف تسيطر على زوجها وأولادها وعلى رئيسها أحيانا.»
فكرت ساشا في ان هذا غير ممكن. إنه هو المسيطر دائما. وشعرت برجفة خفيفة تنتابها سرعان ما تغلبت عليها لتجيب بثبات:«أحقا؟ لا أظن ان ذلك في إمكان احد.»
وافقتها ديبورا على ذلك قائلة وهي تبتسم:«انك على صواب وأرى انك ذات مناعة جيدة إزاء جاذبيته المهلكة تلك.»
قالت ساشا وهي تتنفس بصعوبة:«نعم.» ولكنها شعرت

بتلك العينين الرماديتين المزعجتين ترمقانها بعدائية مفاجئة حتى قبل ان يتكلم قائلا:«إرتاحي يا ديبورا قبل ان أحضر لك تلك الاشياء وخذي ساشا معك. إنني اعرف ان لي شهرة باستعمال السوط، ولكن حاولي ان تقنعيها بأنني قد لا استعمله معها إذا هي قامت بعملها على ما يرام.»

حسن، بعد كل الذي... لقد اصعقها تقلب مزاجه ذاك والتفتت تريد ان ترد عليه ولكنه كان قد ابتعد.

قالت المرأة بصوت متفهم:«لا تهتمي له. إنه جاف هكذا مع الجميع. وذلك منذ ان حدث له ذلك الاصطدام.» ثم افسحت لها الطريق لتتقدمها الى الحديقة.

لم تستطع ان تخبرها بأن ثمة سببا آخر لهذه العداوة المفاجئة. وسألتها بدلا من ذلك:«منذ متى تعملين عنده؟»

قادتها ديبورا الى مقعد حجري في الحديقة. ثم قالت وهي تضم شفتيها وتقوم بعملية حسابية في ذهنها:«أوه... لا بد ان يكون ذلك منذ سبع سنوات. لقد تسلمت العمل بعد وفاة والده مباشرة وبعدما تسلم ريكس مكانه في الشركة. وهو لأسباب واضحة، يقوم بأعماله في المنزل الآن. وأنا أحضر كلما أراد شيئا اعمله هنا. ولكنني غالبا في المكتب في لندن. إنه رئيس عظيم بالنسبة الى المستخدمين. وعلى الرغم مما سمعته يقول على استعمال السوط، فهو لا يحمله ليقف فوق رأسك.» ضحكت وهي تتابع بصوت ناعم:«إنه مثالي، وقد يعاني قليلا من العجز وعدم الأهلية، ولكنه عادل تماما ويقدر جهود العاملين. انه رجل مدهش.» ادركت

ساشا من ورائه ان المرأة مولعة برئيسها. وتابعت المرأة تقول:«وهذه الايام يبدو انه يرتاح الى صحبة لورين فارادای الجميلة. هل تعرفت بلورين؟»

كانت ساشا مولية انتباهها لنافورة مياه اثرية. وردت على سؤال المرأة قائلة:«نعم وهي ابنة عمه. أليس كذلك؟» وشمل ساشا إحساس غامض لم تدرك كنهه.

ضحكت ديبورا بسخرية وهي تقول:«تقريبا انها ابن عم أبيه، هذا إذا استطعت حل هذه الأحجية وهذا كما أظن، يجعلها ابنة عمه الثانية. انها تأتي الى هنا في أغلب العطل الاسبوعية. انها فتاة عنيدة مدللة في الثانية والعشرين من عمرها. ناجحة جدا. عندها صالون للتجميل في كمبريدج، وضعها فيه والدها وهي تديره بكفاءة من هو بضعف عمرها. ولكن ما تريده حقا وما هي بحاجة إليه هو ان تتزوج ابن عمها ريكس. وبهذا تكف عن التصرف كما تشاء، وقد يتقبل هو عند ذاك العناية التي ستقدمها إليه، وإن كنت لا أدري ان كان سيتقبل يوما ما حدث له... إذ ان ارتباطه بكرسي متحرك وهو في الثانية والثلاثين من عمره هو شيء بالغ القسوة. قالوا ان نسبة نجاح عمليته الأخيرة لجعله قادرا على السير مرة اخرى هي خمسون في المئة، ولكنني لا أدري...»

سكتت ديبورا برهة ثم تابعت:«لقد ابتدأنا جميعاً نفقد الأمل في ذلك، وأظنه هو ايضا وإن كان لم يسلم، في الحقيقة، بهزيمته. إنه فقط يتألم من جلسات العلاج الطبيعي، مع انه يرفض السماح لأحد بمد يد العون إليه في أي أمر باستثناء مايكل. ولهذا لا بد للورين من

ان تعمل بجهد بالغ لكي تستطيع تغيير كل ذلك، بالرغم من قوة إرادتها يبدو ان ريكس يستمتع بصحبتها. على كل حال، قد تقابلينها مرة اخرى غدا، فهي تأتي الى هنا في أغلب العطل الأسبوعية.»

قالت ساشا:«هذا حسن...» وتساءلت بصمت عن سبب شعورها بالنفور من تلك المقابلة. فقد سبق وشاهدت لورين مرة واحدة فقط، وذلك عند سقوطها من المنطاد. ولكن تلك المقابلة لم تترك في نفسها أثرا يبرر شعورها ذاك.

عند عودة لورين في المساء التالي، حدث بينها وبين ساشا نوع من المهاترة. إذ بدت عليها الدهشة لرؤيتها فقالت:«أما زلت هنا؟» لقد هتفت لورين بذلك بعدما عانقت عمتها واستدارت لتقع انظارها على ساشا وهي قادمة من غرفة الحديقة لتعبر القاعة الفخمة.

اعترضت عمتها شيلا قائلة:«ليس بهذه الطريقة تحيين ضيوف ابن عمك يا عزيزتي.» ومضت تشرح سبب بقاء ساشا.

قالت لورين:«احقاً؟» ورفعت يدها المطوقة بالأساور تسوي من شعرها الاشقر، في حين كانت تحمل بيدها الاخرى سلة صغيرة استنتجت ساشا من الصوت الذي كان يعلو من داخلها ان فيها هرا ساخطا. وعادت لورين تقول:«ان ريكس لم يخبرني بذلك.» وفتحت السلة ليخرج الهر، بينما كانت في غضون ذلك، تحدق الى ساشا بنظرات نفاذة من عينيها الزرقاوين.

فكرت ساشا، إنه من غير الممكن ان تكون لورين قد اعتبرتها منافسة لها...

بعد العشاء، انتقلوا جميعاً الى قاعة الجلوس وانتقلت معهم ساشا إثر الحاح ريكس.

قالت لورين وهي تستلقي على الاريكة:«إنني لم أر ريكس منذ أيام. مما يحمل على الظن انه أرادنا ان ننال بعض الخلوة أليس كذلك؟» ضحكت لعمتها وهي تقول ذلك مما جعل ساشا تشعر بأن كلامها يشير إليها هي.

اجاب ريكس بجفاء من آخر القاعة:«هناك مجموعة اسباب لم تمكنني من ذلك يا ابنة العم. منها أنه في كل مرة احظى بسرور رؤيتك، يكون على استضافة هرك الخبيث ذاك.»

هتفت لورين وهي تجر الهر من حيث كان يجلس على كرسي بقربها، ثم تهدهده كطفل رضيع:«ليس خبيثا أليس كذلك؟ يا حبيبي؟ انك قاس يا ريكس.» وعبست بينما افلت الهر الذي كان يطلق مواءً.

قال متفهما وقد اضاءت عيناه اللتان التقتا بعيني ساشا بابتسامة:«هل انا حقا كذلك؟»

اضطربت خفقات قلبها فجأة، وبادلته نظرته ذات المعنى. كانت تحب الحيوانات، ولكن هذا الهر كان كارثة. وقد سبق لريكس ان شاهد المعركة التي دارت بينها وبين الهر وهي تحاول ان تبعده عن أنابيب الألوان.

لكن لورين لمحت نظرتهما ذات المعنى تلك، مما دعاها الى ان تقول:«للمناسبة، لقد رأيت رسومك على الجدار وهي جيدة تماما... إذاكنت سترسمين على الجدار كله، لو كنت مكانك يا ريكس لاحتفظت بتلك المنحوتة بدلا من إلقائها في المكتبة. ان عيبك يا ريكس انك لا تقدر الجمال الكلاسيكي.»

استقرت نظرات ريكس على وجه ساشا، متأملاً ملامح وجهها الخالية من الزينة ولونها الطبيعي الذي تورد إزاء نظرته تلك وقميصها بطرازه الغجري، ثم شردت نظراته وهو يقول:«هذا غير صحيح يا لورين.»

تسارع نبض ساشا. لقد تضمن إطراؤه ذاك مشاعر واضحة. وفكرت وقد حبست انفاسها، لماذا هذا الإطراء لها بينما هي تشعر كأنها غجرية بثيابها التي ترتديها أمام لورين بأناقتها العصرية الفريدة؟ ولاحظت من تحت اهدابها الكثيفة القاتمة مقدار ضيق ثوب تلك الفتاة وقصره.

عادت لورين تقول بإصرار وقد تجهم وجهها بعض الشيء:«ما زلت لم أفهم لماذا نقلت تلك المنحوتة؟ بالنسبة الى الجدار، لا بأس إذا كان في ذلك صيانة له، أما بالنسبة الى المنحوتة، فإنني بصراحة لا أظن الجدار يماثلها حكمة وقيمة.»

«إذا خذيها معك.» كان رداً عاصفاً تفجر به ريكس وهو يندفع بكرسيه الى خارج الغرفة بقوة هائلة جعلت الهر يقفز مذعورا من بين ذراعي لورين.

اخترق الصمت المتوتر الذي تلا ذلك صوت والدته شيلا وهي تعتذر بصوت متقطع:«أوه يا عزيزتي... إنني أسفة على ذلك.»

ابتسمت ساشا في محاولة لتخفيف الحرج الذي انتاب المرأة وهي تقول:«لا بأس.. هذا غير مهم.» بينما كانت تشعر بأنفاسها تنبهر. إذا فإن لريكس طباعا حادة وأي طباع؟ واختلست الى لورين نظرة سريعة لتراها شاحبة الوجه وقد تملكها الاستياء وبدا القلق على وجهها الجميل.

فكرت ساشا وقد شعرت بنفسها منحازة الى جانب ريكس في ان لورين تستحق هذا لجدالها العقيم له. كما أنها لم تفهم لماذا يثور في هذا الشكل لأجل منحوتة عادية. قالت وهي تقف تهم بالخروج:«ارجو المعذرة...»

كانت متلهفة للإبتعاد عن الكراهية التي شعرت بها تنبعث من لورين. ولم تكد تصل الى الباب حتى سمعت الفتاة تقول بصوت خافت كي لا تسمعها عمتها:«إنه لن يعجبه ان تركضي خلفه حين تتملكه إحدى نوباته تلك. ولكن إذا كنت حريصة على ان يقطع رأسك فاتبعيه.»

التفتت ساشا من فوق كتفها وهي غير مصدقة ما سمعت، لتقول للورين:«انني لست راكضة خلفه يا لورين. ولكنني لا احب رؤية الخصامات العائلية، خصوصا بين أولاد العم.» لم يكن في إمكانها منع نفسها من ان تضيف تلك الجملة التي استفزت لورين عليها بالمثل قائلة:«لم يكن هذا خصاماً عائليا... كنت أظن اننا نقوم بمناقشة ثقافية. وعلى كل حال، فهو ليس ابن عمي تماما.» لقد أكدت بقولها هذا ما سبق لساشا ان سمعته من ديبورا في اليوم السابق فقط. وقد ذكرت لورين هذه النقطة كما أدركت ساشا بالغريزة، وكأنها تريد القول إنه لها، وأن عليها ان تبتعد عنهما! وما لبثت ان سارت خارجة محتكة بها في طريقها الى الباب.

كانت ساشا تريد صعود السلم الى الطابق العلوي، ولكنها رأت لورين تسير في الاتجاه ذاته، لم تشأ ان تورط نفسها في جدال آخر معها. فأحجمت عن الخروج لتمكث في تلك القاعة الفخمة.

لم تكن متأكدة من المكان الذي ذهب إليه ريكس،

وخمنت انه لا بد ذهب الى جناحه الخاص. كان باب المكتبة مفتوحا، وشدها شيء الى الدخول. لقد كان هناك التمثال الذي كان سبب ذلك النزاع المر بين ريكس ولورين.

كان على منضدة منخفضة بجانب الباب تماماً، وقد انعكس مصباحين مثبتتين في الجدار، نور وردي على جسمه الرخامي الأبيض.

قرأت ساشا على قاعدته الرخامية اسم تربسيكور. أليس هذا إسم إحدى بنات الملك زيوس التسع ملهمات الفنون؟ وتذكرت الأساطير اليونانية.. وابتدأت الحيرة تعتمل في ذهنها. انها سيدة الرقص من بين اخواتها. وفجأة، اتضح لها كل شيء.

فكرت في غلظ إحساس لورين التي لم تدرك سبب طلب ريكس لنقل هذا التمثال، جمال المرونة فيه التي تمثل الرشاقة والحركة... الحركة التي يفتقدها ريكس.

«هل أرضيت فضولك يا ساشا؟»

استدارت بسرعة عند سماعها الصوت حتى كادت ان تصطدم بالباب المفتوح. لقد كان في الغرفة طيلة الوقت. ولكنها لم تدرك ذلك!

تمتمت:«إنه... إنه فضول فقط.» وأخذت تجيل نظرها في أنحاء الغرفة، الرفوف المرصوصة بالكتب والطاولة اللامعة في الوسط، المدفأة الضخمة والوسائد الوثيرة على الأريكة والكرسي ذي الذراعين.

قال:«هذا طبيعي. حسن أدخلي ما دمت هنا.» لم تشعر في حياتها قط بالجبن إزاء دعوة كما شعرت الآن. وأجفلت عندما تناول عصا كانت مسندة بجانبه

ودفعها الى الباب بقوة فانغلق. وعاد يقول:«ادخلي ساعديني.» ولما لم تتحرك قال:«هيا يا ساشا، اظنك من النضج بحيث لن تتصرفي كابنة عمي المدللة. وربما بالغة النضج والجد في بعض النواحي.» عبست بضيق وقد شعرت بأنه يغوص الى داخل اعماقها ومشاعرها. اضاف بسخرية مفاجئة:«إنني لن آكلك.»

قالت:«وأنا لا أظن ذلك.» اقتربت منه بشجاعة وهي تتابع:«ما دمنا تناولنا العشاء معا.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة دافئة لنكتتها تلك. ورد عليها قائلا:«هذا ليس ضمانا أكيدا.» تحرك في كرسيه يواجهها وهي تتنقل بين اكداس الكتب، وهو يتابع قائلا:«حتى وان كان المشهور عني أنني افقد إرادتي في ثوان قليلة إذا كانت الحلوى لا تقاوم.»

نظرت إليه باحتراس وقد تسارعت دقات قلبها. لقد كان جالسا بين المدفأة والأريكة وقد أراح مرفقه على العصا الملقاة أمامه على كرسيه. تلاقت عيناه بعينيها القلقتين، فقطب جبينه وهو يسألها:«هل انت خائفة مني؟»

حبست ساشا انفاسها وقد تسارع الدم في عروقها وهي تجيب رافعة رأسها بتحدٍ من دون وعي منها:«ولماذا أخاف؟»

قال وهو يخبط العصا بعنف جعلها تقفز من مكانها:«ولكنك محقة في ذلك.» اطلق ضحكة جافة خالية من السرور وهو يتابع:«وهكذا عرفت نقاط ضعفي.» كانت كبرياء رجولته الجريح تجعلها تدفع ثمن اكتشافها ضعفه من خلال التمثال. وقال:«كوني فتاة طيبة ولا تخبري لورين بهذا. انها تعتقد أنني أسد لا يغلب. وأنا

اكره ان ابدد تصوراتها هذه. ولكن إياك ان تقللي من شأني يا ساشا او تظهري ذرة من الشفقة، وإلا سحقتك مع نفسي. احيانا اظن انك الملهم الوحيد للحركة لديَ في البيت المشؤوم.»

دقت ساعة الحائط دقة واحدة ممتدة جعلتها تسخر من دقات قلبها هي المفاجئة. ولكن لماذا؟ ألأن رجلا جذابا مدحها؟ وأي مديح ذاك؟ وكادت تقفز ذعرا عندما أطلق الهر فجأة مواءً وهو يقفز على كتف ريكس من مكان ما.

ضحكت بصوت مرتجف وهي تعجب لهدوء ريكس وبروده وهو يحاول ان يفك الحيوان المتمسك به من حول عنقه وهو يقول:«هل جربت لحم القطط المشوي؟» كان صوته الجاف يحمل السامع على الظن أنه يعشق هذا النوع من الطعام. بالنسبة إلى هذا الهر فقط، على الرغم من ان يديه القويتين، كانتا بالغتي الرقة في معاملتهما للحيوان. ولطفت عيناه الضاحكتان من ملامحه الحادة في ذلك الوجه الوسيم وهو يقول:«أو ربما هو يفضل ان يحنط ليصبح مومياء.»

بادلته ساشا الضحك وهي تقول:«لا أظن ان لورين سيعجبها سماع هذا منك.» وشكرت في سرها وجود هذا الهر لتلطيف الجو بينهما، بينما وثب الهر من بين ذراعيه الى طاولة متوارية خلف المقعد. وتابعت تقول وهي تهز كتفيها متوجهة نحو الباب:«أوه... على كل حال...»

لكن صوته العميق سمرها في مكانها قائلاً:«انتظري دقيقة واحدة. لقد دخلت المكتبة لآخذ كتابا، ولكن يبدو

ان ثمة من وضعه بعيداً عن متناول يدي... ذلك الكتاب السميك...» وأشار الى صف من الكتب عبر الغرفة مقابل المدفأة وهو يتابع:«إنه على الرف الثالث فوق الخزانة. كوني فتاة طيبة وانزليه إليَ.»

لماذا تبعث نبرات صوته الرجفة في أوصالها؟ وبينما كانت تتوجه نحو الكتاب وهي تتذكر ما سبق ان أخبرتها به ديبورا، من أنه يرفض تلقي العون من أحد. هل هو يستثنيها من ذلك؟ تساءلت في نفسها وهي تبعد شعورها السخيف بالدفء عند هذه الفكرة، وهي تنزل الكتاب الثقيل الوزن من على الرف.

قال لها وقد لاحظ فضولها في قراءة إسم المؤلف:«هل سبقت لك ان قرأته؟»

حركت رأسها قائلة:«لا، ولكنني قرأت أحد كتبه عندما كنت في الجامعة. لا بأس به، ولكن ليس فيه ما يثير.»

قال:«أوه. ولكن ما هو الذي يثيرك يا ساشا؟»

كان يعني ثقافيا، بالطبع. فلماذا توهجت وجنتاها وارتجفت يداها وهي تناوله الكتاب؟ تساءلت بصمت راجية ألا يكون قد لاحظ ذلك. وكان يمكن لهذا الامر ان يمضي لولا ان اندفع الهر بين قدميها في الوقت الذي كانت تخطو فيه الى الخلف. وبصرخة مفزعة، سقطت على ذراع المقعد وهي تحاول ان تتمسك بأي شيء قبل ان تسقط.

ادركت عند ذاك بخجل انها كانت قد تمسكت بكم ريكس، وأن ذراعه القوية هي التي اسرعت تحميها من السقوط.

قال:«هل انت بخير؟»

اجابت وهي ترتجف:«نعم.»
«ولماذا ترتجفين إذا؟»
اجابت:«انني لا ارتجف. إنني...» ونظرت إليه وقد شعرت بأحاسيسها تذوب عند نبرات صوته:«إنه الهر، لقد ارعبني.»
قال:«انت كاذبة.» وفي اللحظة التالية، كان يجذبها إليه ليحتضنها بذراعيه القويتين.
لم تستطع إلا ان تستسلم ليموت لديها أي إحساس آخر. وحلقت بها المشاعر عاليا فوق السحب، سحب الألم والشعور بالذنب والخيانة والغدر والعذاب. ما لبثت ان تنهدت وهي تقاومه بكل قوتها لكي تتخلص منه وهي تقول:«كلا. لا أستطيع.»
لقد كانت الرغبة في ملامح ريكس، كما بدت ملامحها هي... رغبة ممزوجة بالارتباك. وما لبثت ان شاهدت البرود في وجهه الذي بدا وكأنه نحت من الرخام، وهو يقول بصوت جاف:«إنني آسف. لم أدرك كم هو مثير للإشمئزاز في نظرك ان يقبلك رجل معوق.»
أجفلت وهي تتساءل... هل هذا ظنه بمشاعرها؟ وضعت يدها على فمه وهي تقول متلعثمة:«ليس الأمر هكذا... أعني انني...»
اضطربت انفاسها مثله، وهي ترى برودة المشاعر في عينيه. لقد دفعها اليأس والشعور بالذنب وثقل الضمير، الى الهرب منه لتصعد الى عزلتها في غرفتها الخاصة.
تساءلت في نفسها كيف استطاعت ان تسمح له بتقبيلها في هذا الشكل؟ ان تتجاوب معه في حين ما زالت تحب بن. تساءلت عن ذلك يكتنفها شعور بثقل الضمير

وقد استندت الى الباب وأغمضت عينيها. لقد سبق ان عاهدت نفسها على ان لا تتورط في حب آخر مرة اخرى. هل هي بهذه الخفة؟ ألم يعن لها بن شيئا كثيرا؟ وبعد ما كانت مسؤولة عن موته... تعود هي لتشعر بهذا الانجذاب القوي نحو ريكس تمبلتون؟
لم تكن تريد حتى مجرد التفكير في هذا. وأرغمت نفسها على الإغتسال راجية ان يهدىء الماء الدافىء من مشاعرها المضطربة وينسيها ما حدث. ولكن الذي لم تستطع تجاهله هو انها شعرت معه برغبة لم تشعر بها من قبل نحو أي إنسان.
عندما نزلت في الصباح التالي الى غرفة الطعام لتتناول الإفطار، لم تجد لريكس او لورين أي أثر. ولم تجد ساشا إلا الظن انهما لا بد قد خرجا معا.
لماذا إذاً اخذها بين ذراعيه إذا كانت رغبته واضحة في تلك الفتاة الأصغر سنا؟ وانتابها شعور رفضت ان تسميه. هل كانت بالنسبة إليه مجرد شيء يتسلى به بعد خصامه مع ابنة عمه الجميلة؟ فقط ليرضي زهوه برجولته الذي ضعف بعد الحادث الذي أصابه... ليرى ان كانت تتجاوب معه، ذلك التجاوب الذي كان حقيقة، إلا إذا كان هو لا يزال يفسره في الشكل الذي جابهها به أمس؟
حسن، فليستمتعا معاً! ولكنها شعرت بالألم لهذه الفكرة. ولكي تنسى كل هذا، اعتذرت الى والدة ريكس عن عدم شهيتها لإكمال إفطارها واعتذرت ايضا عائدة الى غرفتها.
كانت لا تزال تفكر في ما إذا كانت ستبقى في غرفتها

تلك او تنزل الى عملها، او تذهب الى المدينة. عندما سمعت فجأة مواء الهر من خارج نافذتها التي اعترضت طريقه فلم يستطع العودة.

أطلت من نافذتها. كان الهر جاثماً على الإفريز الذي يمتد تحت نافذتها. وكانت عيناه المتسعتان ومواؤه المتألم شاهدا على انه كان خائفا.

ضحكت وهي تخاطبه قائلة:«لقد تكبدت الآن ما ليس في طاقتك، أليس كذلك؟» ولكن ما الذي جعله يصعد الى هناك؟ الى هذا العلو عن الأرض؟ لا يمكن ان يكون هذا قد اتى من الداخل، ذلك أنها قد رأت السلم المتحرك الذي يستعمله منظفو النوافذ. هذا الصباح، فأغلقت النافذة لكي ينظفوها قبل ان تنزل الى غرفة الطعام. إلا إذا...

عادت تخاطب الهر وهي تتذكر حادثاً مماثلاً لهر آخر:«لقد تسلقت السلم إذاً ولم تستطع النزول، أليس كذلك؟»

أجابها بمواء ممتد نائح. وبعد عدة كلمات مشجعة محاولة ان تستدعيه الى الدخول، رأت ان الهر كان من الخوف بحيث رفض الحراك، فلم يبق أمامها سوى ان تخرج بنفسها لإمساكه.

فكرت في ان الامر سيكون على ما يرام إذا هي لم تنظر الى أسفل. وظلت تذكر نفسها بهذا بينما كانت تخرج من النافذة لتحبو على يديها وركبتيها على امتداد الافريز. وطمأنت نفسها الى ان عرض الإفريز كافياً للسماح لها بالزحف عليه. لقد كان الخوف فقط من مجرد التفكير في هذا العلو.

لكن سروال الجينز الذي ترتديه كان يعرقل زحفها، حبست انفاسها وأغمضت عينيها بعد ان سقطت قطعة من الإفريز لتطير شظاياها على المدخل في الأسفل محدثة قرقعة شديدة. لكنها ما لبثت ان وصلت الى الحيوان المذعور لتمد يدها إليه تمسك به ثم تشد جسمه الصغير الى جسمها، لتقفل عائدة على الإفريز نحو نافذتها.

سمعت صوت هدير محرك فاختلست نظرة الى أسفل. كانت ثمة سيارة رياضية زرقاء تصعد الطريق. وكان ريكس وإلى جانبه لورين عند المقود.

سمعت السيارة تتوقف، ثم أصواتاً وإغلاق باب بعد فترة. ولكنها لم تنظر الى أسفل الى ان وصلت الى نافذتها ثم استقامت واقفة. لكن عند ذاك، تمنت لو لم تنظر الى أسفل وترى لورين ومايكل ينظران إليها غير مصدقين، وريكس مستندا الى عكازيه يمط جسمه الى أعلى بنظرة شخص مذبوح.

جاءها صوته:«ماذا تفعلين عندك هناك؟» كان غضبه مخيفاً بقدر ما كانت مغامرتها على ذلك الإفريز. كان صوته واضحا قويا إخترق الجو وهو يأمرها:«عودي إلى الداخل.»

لم تكن بحاجة الى ان يأمرها بذلك لكي تدخل وتستمتع بلمس السجادة تحت قدميها في غرفتها.

قالت تخاطب الهر:«لو لم أكن أعلم انك حيوان أعجم، لظننتك تعمدت ذلك لكي تجعله مجنونا من الغضب عليّ.»

وقفز مختبئاً مختبأ تحت سريرها ما ان دخل الغرفة.

وعندها ادركت انها كانت ترتجف. وتساءلت بدهشة عن السبب، فهي لم تكن تشعر بكل ذلك الخوف، أم ان ذلك نتيجة غضب ريكس الذي جعل ساقيها لا تقويان على حملها. وفكرت، حسن، إنه على الأقل لا يستطيع الصعود لصب غضبه على رأسي. ساورها الاحساس بالذنب لشعورها بالإرتياح لعجزه عن ذاك...

قرع الباب لتدخل شيلا والدة ريكس لتخبرها ان ثمة اتصالا هاتفيا من غايفن.

اخبرها غايفن انه عاد الى منطقة سافولك وسألها ان كان يستطيع ان يأتي ليأخذها في خلال نصف ساعة.

اجابت:«هذا عظيم.» وهي لا تزال تلهث، وسرت إذ لم يسألها عن السبب، فهي لم تشعر بدافع الى ان تخبره به، ولم تشأ ان تذكر له شيئا عن تأثرها بريكس.

عندما وضعت السماعة، لاحظت البقع الكلسية على ركبتي سروالها نتيجة الزحف على إفريز النافذة. اسرعت تستبدله بسروال ليموني اللون وقميصا يناسبه قصير الكمين، ثم هرعت تهبط الدرج لتنتظر غايفن خارجا، غير راغبة في رؤية احد.

كانت على وشك الوصول الى الباب الخارجي عندما رأت الباب الذي يفضي الى الردهة مفتوحا، وصوت ريكس يصل إليها من خلاله خشنا قاسيا:«ساشا تعالي الى هنا.»

توقفت جامدة في مكانها وقد ازداد خفقان قلبها وجف فمها فجأة. هل يعرف ما هي بسبيله من طريق والدته او لورين او أي احد آخر من المستخدمين؟ شعرت بالهلع لهذه الفكرة. وجذبت نفسا عميقا ثم دخلت.

كان في غرفة مكتبه التي لم ترها من قبل، جالساً وراء المكتب. لم يرفع نظره إليها لحظة دخولها إذ كان مستغرقا في وضع اوراق في احد الادراج. وكان ثمة مكتب آخر تكهنت ساشا بأنه لاستعمال ديبورا. بينما كان خلف ذلك غرفة صغيرة ضمت رفوف وقد وضع عليها اكداس من الاوراق، لتبدو هذه الغرفة وكأنها خلية نحل للمشاريع التجارية.

كل ما كان يحوز على انتباهها في تلك اللحظة هو صوت إقفال ذلك الدرج وشدة توتر ملامح ريكس بعدما رفع نظره اخيرا إليها. قائلا:«أي أخرق دفعك الى هذا العمل... إذ تزحفين على ذلك الإفريز الخطر؟» كان يتكلم بغضب مكظوم عندما ابتدأت تجيب:«لإنقاذ هر لورين...» ضرب بيده على المكتب بعنف اصعقها من الخوف، وهو يقول ساخرا:«إذا فأنت خالية تماما من الشعور الغريزي بحفظ الذات. إنك تعتقدين، كما أرى، ان في إمكانك ان تستغفليني، على كل حال، إذا كان في نيتك قتل نفسك، فهل تتفضلين عليّ بأن لا تنفذي ذلك في بيتي؟»

تضرج وجهها وعنقها وهي ترد عليه بغضب مدافعة عن نفسها:«لقد تسلق الهر السلم...»

قال متهكما:«وأنت الانسانة ذات القلب الرقيق كان عليك ان تخرجي لإنقاذه!»

قالت:«نعم.»

قال:«ايتها الحمقاء ألا تدركين كم هو قديم هذا البناء؟ وكم هي خطرة تلك الأفاريز؟ أخرجي وانظري الى شظايا الأحجار المتناثرة على طول المدخل إذا كنت لا تصدقين.»

ارتجفت ساشا، لا تريد ان تتصور ما الذي كان يمكن ان يحدث لها. على كل حال، فهي لم تعط ريكس الحق في ان يكلمها بهذه اللهجة.

قالت:«إنني آسفة. سأنظفها بنفسي إذا كنتم تعطوني...»

قال:«لا تحاولي تغيير الموضوع.»

قالت:«حسن لم يكن في استطاعتي تركه هناك. لقد كان مذعورا.»

قال:«كان عليكِ ان تطلبي من مايكل او أحد الخدم ان يقوم بذلك، بدلا من ان تزحفي على الإفريز بنفسك زحفا على يديك وركبتيك كأبطال القصص.»

قالت تجادله معارضة إرادته العنيدة وقد بان التصميم على وجهها:«ربما كان سيقع في أثناء ذلك وقد...»

قال:«إنه ليس بمثل ذلك الغباء.»

فكرت في انه يعني انها كانت هي بمثل ذلك الغباء.

تقابلت أنظارهما عبر المكتب لتحبس أنفاسها وقد عاودها ذلك الإحساس الغريب البطيء بالإنجذاب إليه، الشعور بالذنب وتبكيت الضمير اللذان شعرت بهما وهي معه ليلة أمس... ولو انها تمعنت في الأمر بصدق، لعلمت ان سبب ترحيبها بالخروج مع غايفن، هو لوضع حد لانجذابها هذا نحو ريكس... لكن برغم كل هذا، فهي لا يمكن ان تتجاهل هذا الإنجذاب.

قال:«يا لك من فتاة تجازف بحياتها لإنقاذ هر لا تعرفه.»

رفعت ساشا رأسها ببطء وقد افصحت نظراتها عن مشاعرها التي كانت تجاهد بيأس لتجاهلها.

«انني أعلم انك سبق ان اعتبرتني غبية.»

توترت ملامحه وهو يقول ببطء وتهكم:«وهل ثمة سبب يدعوني الى ذلك؟» مضت لحظات كانت ساشا تفكر فيها في ما يعنيه. هل كان ذلك بسبب ما حدث بينهما ليلة أمس؟ لأنه اتهمها بعدم رغبتها في تقبيل شخص معوق مثله؟

شعرت برغبة عارمة في ان تنكر ذلك، وفي ان تخبره ان ذلك ليس صحيحا ابدا. ولكنه لم يأت على ذكر الليلة السابقة ولم تجد هي ثقة كافية في نفسها لتثير ذلك الموضوع بنفسها. وهكذا كل ما قالته بصوت حاولت ان يكون ثابتا هو:«كلا.» وشعرت باليأس. إذ ادركت مبلغ برود هذا الجواب، مما جعلها تشعر أنها لم تفعل أكثر من أن أثبتت اعتقاده بذلك.

اخذت تراقبه يائسة وهو يقرع بقلمه الذهبي على المكتب بنفاد صبر، وهو يقول:«ما الذي تعتزمين عمله اليوم؟» كان وجهه خاليا من التعبير، مما جعلها تتردد خائفة من ان تخبره عن موعدها مع غايفن. عاد يقول:«إن لورين ستذهب لركوب الخيل بعد الظهر، فهل تريدين ان تنضمي إليها؟ ولا حاجة الى القول إنني لن اشارككما تلك الرياضة البسيطة، ولكننا اتفقنا على ان نتناول الغداء في القرية. هذا إذا شئت ذلك طبعا.»

ترددت ساشا وهي تتساءل عما إذا كانت هذه الدعوة جاءت منه وحده، ذلك انها لم تكن تتصور ان للورين إرادة في ذلك.

لقد كانت مصممة على ان تذهب بنزهة على ظهر الحصان منذ أخبرتها شيلا أنه يمكنها ذلك، ولكن

ليس بمرافقة لورين. وهكذا رسمت ابتسامة مهذبة على شفتيها ثم قالت:«اشكرك. ولكنني سبق ان وضعت خطة لهذا النهار.»

كأنما كان تأكيداً لما تقول، سمع صوت سيارة غايفن التابعة للشركة، تصعد الطريق. تقلصت شفتا ريكس عندما وقفت السيارة قرب النافذة. وهمهم قائلا وهو يرى الرجل يخرج من السيارة:«هكذا إذا. من الواضح ان مفاهيمك أقل كثيرا مما كنت أفترض فيك. لقد ظننت ان مبادئك هي أسمى من ان تحاولي جذب اهتمام شخص مادي عادي الطموح مثل تشيز.» كان في صوته، وهو يستدير بكرسيه حول المكتب، مرارة ملحوظة. مما استفز ساشا لتقول بحرارة:«إنني لم أحاول جذب اهتمامه.»

التوت شفتاه بسخرية قاسية وهو يقول:«كلا؟ هل تريدين القول إنك لم تحاولي جذب اهتمامي؟»

قالت:«ذلك شيء مختلف. كان ذلك مصادفة.. فقد تعثرت قدمي.»

قال:«لتقعي بين ذراعيّ مباشرة، أليس كذلك؟» وضحك بخشونة مما جعلها ترتعش، وتابع قائلا:«حذار يا ساشا. بعض المصادفات يمكنها إحداث ردة فعل قد لا نستسيغها.»

تساءلت عما يريد ان يقول من وراء ذلك، وقد شعرت بذلك التجاذب بينهما يمتد ونظراته تستقر عليها. فقالت وقد توهجت وجنتاها:«هل هذا كل شيء؟»

لم يتنازل بالرد عليها، وإنما ألقى عليها نظرة قاتلة جعلتها تركض هاربة من المكتب لا تلوي على شيء.

سألها غايفن وهما يبتعدان بالسيارة عن المنزل:«كيف تسير بك الحال؟»

كانت ساشا مسترخية في مكانها شاعرة بالسرور. وفكرت في أنها محقة في الخروج بصحبته، فقد كان حريا بأن يصرف ذهنها عن ريكس. وهو لا يتدخل في تصرفاتها الخاصة كما يفعل ذلك.

قال بعدما حدثته عن كل ما حدث لها:«هذا رائع.»

غير أنه لم يظهر اهتماما شديداً في شكل مباشر. وأدركت السبب عندما قال:«حسنا، ولكن الذي اريد ان اعرفه حقيقة هو نوع الحياة مع آل تمبلتون.» وابتسم لها غامزا بعينه وهو يتابع:«ألم تحصلي لي على دعوة منهم بعد؟»

كان يمزح، ولكنها شعرت بشيء من الخيبة. وقالت متكلفة الضحك:«هل هذا هو سبب طلبك مني الاتصال بك؟»

انفجر ضاحكاً وهو ينظر إليها قائلاً:«هذا طبيعي.» ثم تابع:«لا تكوني حمقاء. فأنا معجب بك جدا يا ساشا مورغان.»

انكمشت في جلستها عندما راح يقلد لهجتها الاميركية شاعرة بعدم الارتياح من ان يأخذ هذه العلاقة على محمل الجد. ولا بد انه قد لاحظ ذلك. إذ قال فجأة:«إنني لا اريد التورط إذا كان هذا ما تخشينه، وإنما اريد ما تريدينه انت. اعني المرح والإسترخاء بقدر ما استطيع.»

لم تكن تريد شيئا آخر غير هذا، ذلك انها كانت لا تزال تعاود إصلاح وتنظيم حياتها المشتتة المهشمة، وتمتمت:«وأيضا تقديمك في شكل رسمي الى ريكس.»

قال:«بالتأكيد.» ابتسم وقد شغل بملاحظة الطريق عن التوتر الفجائي الذي أصابها. وتابع قائلا:«وربما تقديمي الى تلك الشقراء الرائعة التي رأيتها تعبر مدخل المنزل.» نظر إليها بمكر وهو يتابع:«إنني امزح فقط طبعا. ولكن من تكون هي؟»

كان سؤاله يعبر عن اهتمام حقيقي كما تكهنت ساشا. وعندما اخبرته عنها، صفر بفمه قائلا:«انها إذا لورين فاراداي؟ وانت تقولين انها تأتي لزيارتهم في عطلة نهاية الاسبوع؟ يا لها من ابنة عم رائعة... سواء كانت ابنة العم الثانية او الثالثة او أكثر من ذلك... فهي مناسبة جدا للسيد تمبلتون. وهي تدر المال ايضا. في الحقيقة لا شيء أفضل من حفظ المال في الأسرة. أليس كذلك؟»

كان رأيه يتلاءم ورأي ديبورا. فلماذا شعرت بالضيق من كلامه هذا!

قالت وقد شعرت بالرغبة في الجدال:«كيف تحكم على إنسان من أول نظرة؟ ربما هو لا ينظر إليها بتلك الطريقة التي تظنها انت؟»

اجاب وهو ينظر إليها بعينين ضاحكتين:«أوه. لقد فهمت هل هذا ما ترجينه انت؟»

قالت:«لا تكن سخيفا. طبعا هذا غير صحيح.» وإذا كانت خفقات قلبها قد ازدادت، فذلك فقط بسبب ضيقها من كلامه هذا.

قال بلهجة شبه مقنعة:«ولكنه غني.»

اشارت بيدها رافضة كلامه وهي تقول:«هذا لا يعني شيئا بالنسبة إليّ.»

قال:«وهو ايضاً وسيم الطلعة.»

أشارت بيدها مرة اخرى بالمعنى ذاته وهي تقول:«إنها وسامة سطحية.»

بدت في نبرات صوته الغيرة وهو يقول «إنني لا اعرف إمرأة استطاعت مقاومة جاذبيته.»

قالت:«حسن، انني استطيع المقاومة.» لماذا احتاج الامر كل هذا الجدل منها لكي يقتنع؟ هل لأنها كانت هي نفسها مقتنعة بجاذبيته الطاغية؟ تلك الجاذبية التي كادت تحرقها ليلة أمس؟ تنفست بعمق ثم غيرت الموضوع. لم تكن تهتم بريكس تمبلتون في شكل خاص، فلماذا كل هذا الجدل حوله؟ إنها خرجت مع غايفن لترتاح وتشعر بالبهجة او على الأقل لتغير من مجرى افكارها. كانت تفكر في كل ذلك لتدرك في ما بعد عندما أعادها غايفن الى المنزل انها لم تستمتع بشيء مطلقا. وكان عبثا ان تتظاهر بأنها لا تعرف السبب.

كان تأثير ريكس فيها أشد عمقا مما أرادت إن تعترف، وقد تكدرت جدا مما حدث بينهما مؤخرا في غرفة المكتب. لقد جرحتها شكوكه في الصميم، وهي تعلم ان سبب ذلك يعود الى ما حدث الليلة الماضية. ومع ذلك فهي لن توضح له الأمر ولو بعد مليون سنة. ذلك أنها قبل ان تفعل هذا، عليها ان تخبره بكل شيء. وذكرياتها كانت تعذبها الى أقصى حد، وكان ذنبها أكبر من ان تشارك فيه احدا، وخصوصا رجلا مثله.

الفصل الرابع

يوماً بعد يوم، اخذت الالوان تظهر في الصور الجدرانية. فقد ابتدأت الحشائش الذهبية والسنابل الناضجة تبدو وكأن نسائم غير مرئية تتلاعب بها. وابتدأت الألوان المائية تكوّن الأزهار الآن تحت فرشاة ساشا البارعة.
انها لم تكلف من قبل برسم مثل هذه المساحة الواسعة، فكانت لهذا تشعر بسرور بالغ وهي تقوم بعملها الذي كانت تكرس له كل وقتها.
قال لها كريس بجفاء ذات أمسية:«إن أي شخص لا بد أن يظن أنني أضع في قدميك القيود. ذلك انه من المفروض انك في عطلة الآن.» كان قد جاء يلقي عليها نظرة قبل وصول اختصاصية العلاج الطبيعي. وتابع قائلا:«إنني متأكد من أنني سمعت صوت قدومك الى هنا بعد الساعة السادسة مباشرة. فهل انا مخطىء؟»
كان ينظر الى الصور الجدرانية بعين ناقدة، ويراقب ضربات فرشاتها الرقيقة ترسم أزهارا بريّة بين الحشائش بصورة رائعة. ولكنه كما سبق ان وعدها، لم يقل شيئا. وكانت في اعماقها تتساءل عما يمكن ان يكون رأيه.
قالت بسرعة:«أريد ان انتهي منها اولا، وبعد ذلك يمكنني ان استريح.»
قال:«وبعد ذلك، لن تكوني مدينة لي بشيء.»
نظرت ساشا إليه بسرعة وقد توقفت الفرشاة في يدها في الهواء وهي تقول:«إنني لم أقصد ذلك، لقد قصدت ان أقول...»

قال وقد انعقد حاجباه بسخرية:«كلا؟»
إنها طبعا، ليس في إمكانها استغفال رجل مثله.
قالت:«حسن، أليس هذا شيئا طبيعيا؟» وعادت الى عملها شاعرة بأنه يتأمل جسمها في السروال الضيق والقميص. ومنذ تلك الليلة في غرفة المكتبة، كان لا بد يدخل عليها الغرفة حيث تعمل، إلا ويتشتت ذهنها بسبب التفكير فيه. إنه التجاذب الطبيعي بين المرأة والرجل. كانت تفلسف مشاعرها نحوه في هذا الشكل.
أدهشها قوله بجفاء وهو يدير عجلات كرسيه مبتعداً:«لا تدعيني اصرفك من عملك.»
فكرت في ان هذا وقت مناسب لترتاح قليلاً، فذهبت تتناول فنجانا من القهوة في الحديقة جالسة على مقعد حجري بمفردها، فقد كان النهار رائعا.
عندما رجعت الى غرفة الحديقة، كانت اختصاصية العلاج الطبيعي قد وصلت. واستطاعت ان تسمع صوتها من وراء الجدار، وكذلك الحركات وشتائم ريكس احيانا، وبعد ذلك سمعت صوت تدفق المياه في الحمام وإثر ذلك ببعض الوقت، انغلاق باب الردهة بعد خروج المرأة.
من دون وعي منها، اخذت أذنا ساشا ترهفان السمع الى الأصوات الضئيلة المنبعثة من الغرفة الثانية. الصوت المعتاد من الكرسي ذي العجلات، والصوت المنبعث من إلقاء العكازين جانبا، ثم صرير السرير وهو يتلقى جسم ريكس الثقيل الوزن. ثم سمعت صوتا ضئيلا تبعته شتيمة بصوت خافت. وبرغم أنها حاولت ان تركز ذهنها على عملها، فقد ساورها شعور عميق بالعطف. كيف يمكن لرجل قوي ان يعتاد ان يصبح

عاجزاً في هذا الشكل. فكيف إذا كان هذا الرجل له مثل شخصية ريكس المستقلة البالغة الصلابة؟

قفزت مجفلة وهي تسمع رنين الهاتف. وعندما تناولت السماعة، ازداد خفقان قلبها وهي تسمع صوت ريكس يقول:«هل يمكنك مساعدتي يا ساشا من فضلك؟»

كان صوته هادئا، ولكنها مع هذا، ألقت الفرشاة من يدها بسرعة ثم هرعت الى داخل غرفته.

كان كل ما يرتديه سروال قصير وقميص أبيض رقيق ينزل الى وسطه. كان جالساً على سريره. وعند دخولها رفع رأسه ينظر إليها عابسا. قال وهو يلحظ البغتة التي بدت على وجهها:«إنني آسف، لم ادرك ان مظهري هذا قد يحرجك.»

قالت بسرعة وهي تبعد نظراتها عنه:«كلا، ان ذلك لا يحرجني.» طبعا لا شيء مهما في منظره ذاك، لكن، لماذا تشعر بجفاف حلقها؟

قال:«لقد سقط مني زر القميص.» وأشار الى أسفل السرير. «لقد حاولت ان أجلبه بنفسي ولكنه بعيد عن متناولي.»

قالت:«آن ذلك ليس بمشكلة.» كان عليها ان تجثو على يديها وركبتيها ثم تدلف تحت السرير المنخفض لتبحث فوق السجادة حتى وجدته.

قالت:«ما الذي قذف به الى تلك المسافة؟» وفكرت بحيرة في ان تلك المسافة هي أبعد من ان يقذفه إليها التدحرج العادي للزر. ما لبثت ان لاحظت عصا ملقاة الى جانب قدميه وتكهنت بأن الزر لا بد سقط في الاتجاه الآخر، وحاول هو غاضبا ان يعيده. قالت تعنفه باسمة برقة

وهي تستوي واقفة على قدميها:«هل ترى صبرك قد نفد بسرعة؟»

قال:«يا للعجب... إنك تتكلمين وكأنك ممرضتي.»

ضحكت وهي تناوله الزر محاولة ان تلطف من مزاجه وتخفف عنه، وقالت:«لا تعجبني وظيفة مثل تلك مع مريض مثلك.»

قال ببطء وقد لمعت عيناه وارتسمت على شفتيه ابتسامة:«من بعض النواحي، أظنني اشعر عند ذاك بالمتعة في هذا.»

توردت وجنتا ساشا وهي تحاول ألا تفكر في نوع تلك النواحي التي قد تقوم بها ممرضته. وأخذت تراقبه وهو يعيد تركيب الزر في كم القميص. كانت هي المرة الأولى التي ترى فيها رجلا يستعمل مثل هذه الأزرار. كان من العقيق الأسود المركب في الذهب، يلمع على القميص الأبيض.

ضحكت قائلة:«ان التصوير الجداري يأخذ كل وقتي.» كانت تبدو عليها العصبية، واستدارت لتخرج عندما سمعت صوته عميقا خافتا خلفها يقول:«لا تذهبي.»

نظرت إليه متسائلة وقد أخذ التوتر يجتاحها. ربت على السرير بجانبه متابعا:«تعالي أجلسي هنا.» فأذعنت لطلبه وقد بهرت أنفاسها وتشنج جسدها.

قال محتجا برقة:«انك تجهدين نفسك.» وعلى غير انتظار، امسك ذقنها بأصابعه يتفرس في وجهها بإمعان وهو يقول:«تبدين شاحبة، هل ثمة ما يضايقك؟»

احدثت لمسته لها، ورائحة العطر التي تفوح من اصابعه، رجفة في أوصالها جعلتها تبتعد عنه غريزيا.

قال بصوت خشن:«هل تريننني أسبب لك خيبة الأمل الى هذا الحد؟» كان فمه ملتوياً بمرارة مما جعل ساشا تجرض بريقها. لا بد ان تخبره مهما كانت الظروف.
تمتمت وقد خفضت نظرتها:«كلا، انك لا تخيّب أملي ابدا.»
ضحك لجوابها المهتز وهو يقول:«اتقولين ذلك بينما تجلسين على سرير رجل؟ انك حقا تؤمنين بالمغازلة الخطرة، أليس كذلك؟» مد يده الى ساعته الموضوعة الى جانب السرير.
قالت بثبات:«كلا، إنني اؤمن فقط بقول الحقيقة.»
اخذت تراقبه وهو يثبت الساعة في معصمه. قال وعيناه تحدقان في عينيها بارتياب:«من دون ان تهتمي بما قد يقود ذلك إليه؟ أم لعلك تشعرين بالأمان في الجلوس قرب من هو أقل من الرجال مثل غايفن تشيز في هذا العالم، أليس كذلك؟»
اخذت ساشا نفساً عميقاً وهي تقول:«إنني لم أقل هذا بل أنت الذي قلته.»
قال وهو يصر على أسنانه بينما يحاول تثبيت الزر الآخر:«نعم.»
كان ألمه واضحاً مما اشعرها بالكرب. وأحست نحوه بعطف صامت. ومن دون وعي منها، استقرت نظراتها على ساقيه. كان ثمة أثر جرح مستطيل على فخذيه، بالإضافة الى الضرر الذي أصاب ظهره. شعرت برغبة ملحة في لمس هذا الجرح الممتد، ولكنها صدّت نفسها عن ذلك في الوقت المناسب. لتسأله:«هل تتحسن أمورك؟» ألم تخبرها ديبورا ان أمامه خمسين بالمئة

من امكان النجاح في استعادة القدرة على المشي؟
قال:«فلنقل انه لن يكون في إمكاني تسلق الجبال.»
قالت:«انني آسفة.» دون وعي منها، مست ذراعه لتشعر بعضلاتها ترتعش، وقد جعله التوتر يتنفس بعمق. أطلقت شهقة خفيفة وقد فوجئت بالتجاوب الذي بعثته لمستها غير الواعية لتلقيها دفعة مفاجئة من يده على السرير.
قال:«احقا؟» كان صوته خشنا، وقد ارتسمت على شفتيه السخرية من تجاوبها هذا، كما بانت المرارة على ملامحه وهو يقول:«حسن ان الشفقة ليست ما احتاج اليه يا ساشا. انني رجل، كما انك تعرفين هذا جيدا، أليس كذلك؟» تنفس بعمق وقد تعلقت عيناه بنظراتها وهو يتابع:«تعرفين ذلك اكثر مما تعترفين به، ولا يهم بما ستعترفين به على قولي هذا.»
اطلقت شهقة قصيرة وهو يحتضنها فجأة:«كلا...» وغرزت اظفارها في كتفيه وهي تحاول ان تكبت استجابتها لذلك والتي كانت ترتعد اوصالها. انها لا تستطيع... بالنسبة الى أي رجل! انها لا تستحق الحب... بعد الذي فعلته في بن!
كسا وجهها الألم، نتيجة صراع الرغبة والشعور بالذنب في نفسها. وفجأة شعرت بقبلاته تتوقف. فتحت عينيها لترى ريكس ينظر إلى وجهها وقد تلاشت الرغبة في ملامحه وبدت في عينيه نظرة كالثلج، وهو يهمس بوحشية:«اخرجي... اخرجي من هنا.» كان في لهجته من الوعيد ما جعلها تتراجع بسرعة لتخرج الى غرفة الحديقة ثم تتوارى من خلال الباب المزدوج.
انها ما كانت لتفعل اكثر من هذا لتحمله على الظن

انه طردها طرداً. وكرهت نفسها. ولكن، كيف كان لها ان تخبره أنها، في داخلها كانت معوقة شعوريا بقدر ما كان هو معوقا جسديا؟ لقد جعلته يحتقرها. اعترفت ان هذا ما تستحقه فعلا. وشعرت بالمرارة وعيناها تغرورقان بالدموع.

تنفست بعمق في محاولة للتخفيف من الحريق الذي تحسه في داخلها. وجالت في أنحاء الحديقة لتجد نفسها من دون ان تشعر، بجانب اصطبلات الخيل القائمة الى جانب المنزل.

كانت رؤوس الخيل الكبيرة بارزة من فوق الأبواب، وأثارت عواطفها رائحة الخيل وهي تضرب الأرض بحوافرها.

اوقفها صوت مايكل يسألها من أحد الاصطبلات:«هل تودين ركوب واحد منها؟» وأطل عليها بوجهه الذي لوحته الشمس وقد علت رأسه القبعة المعتادة. وتابع قائلا:«يوجد هنا الفرس الغبراء، وكذلك الكستنائي اللون.» وشمل الباحة أمامه بنظرة وهو يستطرد:«وهناك ذو اللون الكستنائي القاتم.»

كانت احصنة رائعة، ولكن أنظار ساشا استقرت على حصان أرقط أغبر اللون في آخر الاصطبل. وأخذ هذا يضرب الأرض بقوائمه وهي تقترب منه.

سمعت صوت مايكل يخاطبها وهو يجر فرساً كستنائية اللون قادما نحوها:«لا أنصحك بركوب ذلك الحصان. فهو ليس للنساء. انه حصان السيد ريكس، وأنا الوحيد الذي أركبه الآن... ولهذا، فهو لا يخرج بما فيه الكفاية وقد جعله هذا منفعلا. هل

تريدينني ان اجهز واحداً لك؟ ام تفضلين ذلك بنفسك؟» قالت:«بل يمكنني ان اقوم بذلك بنفسي.» شعرت بالسرور حين مدت يدها تربت على انف الحصان الضخم فلم ينفر.

فكرت في السبب الذي يجعل ريكس يحتفظ بهذا الحصان في الوقت الذي لم يعد بحاجة إليه. وثارت مشاعرها، وكان بودها ان تسأل مايكل عن ذلك لو لم يكن الحنق باديا على وجهه لإصرارها على اختيار ذلك الحصان.

قال لها بغلاظة وهو يعيد الفرس الكستنائية اللون الى مكانها:«في هذه الحالة، ألتمسي طريقك من هنا.» ثم ذهب من دون كلام آخر.

اخذت تربت على رقبة الحصان الدافئة وهي تخاطبه قائلة وهي تراه يعود فيضرب بحوافره قلقا:«إهدأ يا فتى.» كانت أذناه منتصبتين الى الأمام يستمع الى ضرباتٍ حوافر الفرس الكستنائية، ثم دفع برأسه محتجا على احتجازها في حظيرته.

أمسكت بأنفه من دون خوف وهي تريح رأسها عليه بعطف وتخاطبه قائلة:«هل تفتقد سيدك يا فتى؟» وتساءلت عما إذا كان يشعر بالحزن ذاته الذي تشعر هي به، وبالوحدة والكآبة من دون يد تكبح جماحه كما هو الحال معها في هذه اللحظة.

شعرت بوحشية تكتنفها لم تحس بها من قبل، وجعلها شعورها بالإلفة نحوه تجد مربطه بسرعة.

كانت معتادة ركوب الخيل، فقد كان خالها يملك مزرعة في تكساس، وكانت، في عطلتها المدرسية تتسابق مع

جولييت في أنحاء المزرعة المغبرة تلك. ولكن هذا المخلوق الفظ لم يكن بتلك الرقة التي تميزت بها تلك الفرس التي عرفتها ذلك الحين. وبعزم بالغ، توجهت بالحصان الى ذلك الطريق الذي يحيط بالمنطقة الى ان غاب منظر البيت عن عينيها.

كانت أكوام محصول اللفت والسبانخ الأخضر تمتد على طول الجانب الآخر للأرض التي كانت يوما ما من أملاك آل تمبلتون، لتباع بالتدريج قطعة بعد قطعة على مدى السنين كما علمت. كان في إمكانها رؤية الجرار الزراعي يعمل بجد وثبات. وكانت تشم رائحة التبن المكوّم حديثا يحملها الهواء من الوادي.

شدت لجام الحصان فجأة غير متأكدة من المسافة التي قطعتها وهي تهتف به:«ووو... يا فتى...» لقد زال اكتئابها بعد هذه الرياضة في الهواء الطلق. ولقد استنفد الحيوان طاقته الى آخرها، كما قدرت لتدير رأسه نحو الإصطبل، وفجأة وجدت نفسها تناضل بكل قوتها في سبيل كبح جماح الحصان.

صرخت بالحصان وهي تدفع قدمها في الركاب الى الأمام، بينما تتصارع مع اللجام لتمنع الحصان من الإنطلاق بعيدا. كان بالغ القوة والتحايل والتصميم على عدم الرضوخ لمحاولاتها الانثوية عديمة الجدوى.

اطلقت ساشا صرخة ذعر عندما وقف على قائمتيه الخلفيتين فجأة ملقيا إياها فوق السياج الخشبي المنخفض، مما جعلها تحاول بغير جدوى التحرك في القمح المحصود.

كافحت للوقوف على قدميها وقد انحنى ظهرها، إنما

لم يصبها أي ضرر، في الوقت الذي كان فيه الحصان يركض، ملوحا بالرسن والركاب لينعطف الى الطريق الزراعي الضيق، ثم يغيب عن النظر.

أخذت ساشا تنفض ثيابها وهي تنظر في أثره مذعورة، ربما يستطيع العودة سالما، ولكن، ماذا لو لم يعد؟ ماذا لو دخل حقلا لأحد الناس وابتدأ يأكل من المحصول؟ او قد يحدث الاسوأ، إذا هو اختار ان يذهب في الطريق العام ليتسبب في حادث اصطدام؟

جمد الدم في عروقها، ومن دون ان تضيع وقتاً، عادت من فوق السياج وابتدأت تقتفي أثره، لتقف بعد فترة لاهثة بعدما ادركت عدم جدوى ذلك. لا بد ان الحصان قد قطع الآن أميالا عديدة، ويمكن ان يكون ايضا في طريقه الى المنزل، مما يعني ان لا أمل لها في ان تصل قبل ان يدرك احد ما حدث، وخصوصا ريكس.

ارتجفت وهي تفكر في أنها قامت بما فيه الكفاية لكي تنفره منها، وتحط من قدرها في عينيه حتى من دون هذا العمل الأخير.

صممت، وهي تفكر في الحيوان أكثر مما تفكر في نفسها، على أن تجد طريقها الى المنزل في أسرع مما تستطيع، وكان أمامها طريق واحد لتحقيق ذلك.

مضى بعض الوقت قبل ان تسمع صوت سيارة آتية. توقفت لتلتقط أنفاسها ثم رفعت يدها توقفها. لم تتعود في حياتها من قبل ان تتطفل على احد! وكان واضحا ان المهارة تنقصها في ذلك، كما فكرت يائسة، عندما مرت بها السيارة من دون ان تتوقف. ومرت بعد ثوان سيارة أخرى تاركة إياها،

هي الأخرى، على قارعة الطريق وقد تملكها اليأس. تمنت ان يصادفها الحظ في المرة الثالثة بعدما سمعت صوت سيارة آتية. ولم تكد تصدق وهي ترى السيارة تبطىء في سيرها قبل ان تشير إليها. وأخذت تبتسم لكن تبدلت أساريرها فجأة، وقد صعقت حين رأت باب المقعد الخلفي من السيارة البي أم. دبليو يفتح.

قال ريكس بصوت ينبىء بالخطر وهي تجلس على المقعد الى جانبه:«حسن، يا لها من مفاجأة.» يا لحظها العاثر القدر ان يكون هو، وليس غيره من وقف ليلتقطها من الطريق. كانت تفكر في هذا وقد غاص قلبها بين ضلوعها. لم تكن قد ادركت أنه خرج. ولو لم يكن مايكل قد أسرج تلك الفرس الكستنائية لشيلا، ثم عاد الى الإصطبل، لما لاحظ غياب الحصان...

قالت:«ريكس... إنني...»

قال:«هل تستمتعين بمناظر منطقة سافولك الريفية؟»

اسكتها الخطر الذي يبطن لهجته المهذبة، عن أن تسترسل في الشرح، وكانت نظراته الفولاذية تتعارض وابتسامته.

قال بصوت خشن علا على صوت المحرك:«ما الذي تفعلينه هنا؟»

جرضت بريقها بتوتر وهي تقول:«تعني التطفل على السيارات؟» حسن، ما الذي يعنيه غير ذلك؟ ولماذا يجعله ذلك غاضباً على هذا النحو؟ وتساءلت عن الطريقة التي يمكنها ان تخبره بها عن الأمر. وقالت:«لم أكن أعرف اين أنا، وكيف أعود، ريكس، إنني أعلم أن...»

سكتت فجأة عندما امتدت يده تزيل شيئاً عن ذراعها

وهو يقول بصوت هادىء خطر وهو يفتت قشة بين أنامله:«إما انك كنت مع أحد على كومة من القش، وإما أن حصاني الشرير قد ألقى بك أرضا. والنتيجتان لا تبعثان على الرضى، أليس كذلك يا مايكل؟»

إذا، لقد سبق ان علم بالامر. وقالت بصوت منخفض وقد شعرت بالخوف من تجهم وجهه:«إنني...»

وجاءها صوت مايكل من وراء المقود ليدينها قائلاً ببطء واختصار:«لقد حذرتها من أنه خطر... وأنه غير ملائم لركوب امرأة.»

«إذا، فقد كنت تعلمين؟» كانت كلماته الهامسة هذه تحمل في طياتها تهديداً بالعقاب على الرغم من الابتسامة المتوترة التي كانت تتلاعب حول فمه.

قالت:«إنني آسفة يا ريكس.» ولكن محاولتها التخفيف من غضبه كانت من دون جدوى. ولم يكن ينظر إليها الآن، بل كان يتابع بعينيه المناظر الخلفية التي كانت تعكسها المرآة، والتي كان يبدو ان مايكل يمنحها أهمية اكثر مما كان يلزم، ليقول اخيراً:«هل يمكنني ان أمر لشراء صحيفة؟» وتحول نحو قرية جميلة مروا بها، شعرت ساشا بالتوتر وهي تراه يوقف المحرك وقد أدركت ما الذي يحدث. لقد كانت ثمة تعليمات صامتة من ريكس لمايكل بواسطة المرآة بأنه يريد ان يتحدث إليها بالأمر على انفراد، وامتثل الرجل العجوز الأمر. أغلق السائق الباب خلفه تاركا إياها تواجه ريكس وحدها.

قال ريكس:«ماذا كنت بسبيله، حين أخذت حصاناً انت تعلمين جيداً انك لا تستطيعين كبح جماحه، ثم انطلقت

به حتى من دون ان تخبري احداً بمكان ذهابك؟ هل ظننت ان لا احد سيعلم بالأمر عندما يعود وحده وهو يتصبب عرقا؟ أم انك كنت من الجنون بحيث ظننت أنه يمكنك التعامل معه بمفردك؟»

قالت تحاول إرضاءه:«لقد قلت إنني آسفة.»

ادركت الآن ان مروره بهذا الطريق لم يكن مصادفة وأنه كان يبحث عنها. وتابعت تقول:«على كل حال، فإن مايكل في الحقيقة، لم يطلب مني عدم أخذه. لقد قال فقط إنه... أوه، لا أعلم.. لقد ظننت أنه كان يظنني عديمة الخبرة في ركوب الخيل. انني لست بمجنونة لكي أعرّض حياتي للهلاك لو كنت أعلم أنه شرير الى هذا الحد.»

قال:«كلا؟» ومن رفعه لحاجبه علمت بوضوح انه يظنها مجنونة حقا. وتابع قائلا:«إنك مغامرة شديدة الثقة بنفسك ايتها السيدة...» وأشار الى صدره بإصبعه «وأشهد أنا، الفاقد القدرة الجسدية، على انك اكثر الناس الذين قابلتهم في حياتي عدم شعور بالمسؤولية... فإذا كنت عديمة التفكير في سلامة الآخرين. ذلك ان ليس ثمة نهاية لما كان يمكن ان يحدثه ذلك الحيوان من الإضرار بنفسه، عدا الاملاك...! انك بانعدام تفكيرك هذا، بحاجة الى سداد في الرأي يمنعك من الإستسلام لنزواتك. ولو كنت أكثر من مجرد ضيفة في منزلي، بدلا من اميركية مشوشة الذهن، فإنني...»

قاطعته متحدية:«فإنك ماذا؟» لقد قالت إنها آسفة. لماذا يبقى على تعنيفه لها بهذا الشكل؟ وتابعت:«ما الذي تسأل عنه وأي إيضاح تريد؟»انها لم تر من قبل هذا

التصميم الغاضب في عيني رجل. قالت:«اوه... تباً لك!» واندفعت بسرعة محاولة الخروج من السيارة تتبعها صرخة صغيرة لتقبض على ذراعها أصابعه القوية وهو يقول:«نعم، اريد ذلك.» تابع ووجهه يلتهب بالغضب وقد توترت ملامحه:«ما هو نوع تفكير امرأة لا تستطيع تقدير الخطر وهي تنزل من نافذتها لتحبو على الافريز؟ وتركب حصانا رغم التحذير من ركوبه؟ وتقبل ان يوصلها أي كان في سيارته؟ هل الحياة رخيصة الى هذا الحد؟»

«نعم!» قذفت إليه بهذا الجواب بكل الحرقة والألم اللذين يملآن قلبها، لترى حيرة شديدة على ملامحه، ثم ما لبث الإدراك ان أنار وجهه. ووبطء، أخذ يمعن النظر في ملامح وجهها التي يتجلى فيها العذاب. بهاتين العينين البالغتي الذكاء والفطنة وكأنما، ويا للغرابة، قد سبق ان اخبره شخص بما قاله بصوت هادىء حليم:«ماذا حدث له؟ ماذا حدث يا ساشا؟»

لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة تحدثت عن ذلك الى أحد. حتى والداها احترما صمتها ولم يعودا الى الحديث عن ذلك قط. ولكن ريكس، على نحو ما، وجد في ذلك التحفظ خطأ بالغا... ومن فوق الحواجز الدفاعية التي تحطمت، تدفق سيل الآلام والشعور الصامت بالذنب الذي استمر كامنا في أعماقها شهورا عديدة.

ابتدأت وهي تشعر بالإختناق:«كنا نستعد للزواج. كنت أعرفه من أيام الجامعة... كان استاذ الفنون. وقد انتظرنا الى ان نلت الإستقرار في وظيفتي. ثم، قبل عشرة أيام من زفافنا... شعرت فجأة بعدم التأكد من نفسي. وقد قال بن انها حالة عصبية تسبق الزواج، وأنه

هو نفسه اجتاز هذه الحالة منذ أسابيع. وقد صدقته. وعندما إنهار في اليوم التالي، ظنوا ان ذلك كان أثر مجهود غير عادي في عمله، وأنه سيكون على ما يرام... ولكنه لم يتحسن. وقالوا إنه يشكو عارضا في قلبه... ولكن، في الحقيقة، كان كل شيء هو ذنبي أنا.»

لم تكن قد بكت منذ مدة طويلة... ليس بكاء كافيا على كل حال... ولكن دموعها الآن كانت تنهمر من دون توقف. بصمت وبطء في البداية، ثم في شهقات متشنجة في ما بعد. ولم تعد تهتم بما عسى ريكس ان يظن بها، حتى أنها لم تعد تكترث لكونها تستند إليه... ولم تعد تلاحظ ان تلك الكتفين العريضتين كانتا تحملان عنها وطأة مشاعرها.

لم يقل شيئا قط، وتركها الى ان خفت شهقاتها المتشنجة. عند ذلك، لم يتركها وإنما اعطاها فرصة لتفهم الأشياء تدريجيا... ليعود تنفسها منتظما كتنفسه هو. فتدرك من بعد حقيقة ان كتفيه اللتين كانت مستندة إليهما، كانتا مبللتين تماما بدموعها.

قال فجأة بلطف:«إذا كانت حالته كما قرروا، إذاً هذا كان سيحدث على كل حال عاجلا أو آجلا. ربما كان السبب إجهادا لنفسه في عمله، او ربما كان مجرد إثارة عصبية تسبق الزواج، ولكن هذا بالتأكيد لم يكن ذنبك. وما كنت تشكينه انت إنما كان اعراضا موقتة تسبق الزواج بالنسبة الى كثير من المخطوبين. وأنا شخصيا اعرف زوجين سبق ان مرا بهذه المرحلة قبل الزواج، وهما الآن زوجان سعيدان منذ حوالى الخمس عشرة سنة. فكفي عن معاقبة نفسك.»

كانت نصيحته تلك مفعمة بالدف والتفهم. ووضع شفتيه على صدغها بحنان، وتنهدت بهدوء. لقد كان أقوى منها، ومع أنه كان غير قادر على المشي، فقد كان أقوى مشاعر من أي رجل عرفته في حياتها. ومن دون انتباه تعلقت بكميه تستمد ما ينعشها من الدفء الذي ينبعث منه.

فجأة، ومع انه كان يتجاوزها بأنظاره وقد قطب حاجبيه الاسودين، ادركت من دون ان تلتفت، ان مايكل قد عاد.

قال بلطف وهو يناولها منديلاً ابيض نظيفاً:«خذي.» ومع أنه تركها إلا أنها كانت مازالت منتبهة لذراعه المواسية التي بقيت حول كتفها.

بدا على مايكل الإختيال وهو يلقي عليها نظرة قبل ان يصعد الى وراء المقود. ربما استنتج من المشهد الذي رآه في المقعد الخلفي، ان سيده وجّه إليها تعنيفا قاسيا، وهو الآن يمحو آثار ذلك عنها.

قال ريكس بلهجة ذات معنى:«شكراً يا مايكل.» وما كان من السائق إلا ان ألقى بالصحيفة التي لم يكن بحاجة إليها، جانبا، ثم انطلق بالسيارة من دون أي كلمة.

الفصل الخامس

كانت ساشا تعاون شيلا في قطع البراعم في حديقة الأزهار خلف مدخل المنزل. وملأت ساشا رئتيها من شذا الأزهار التي كانت تجمعها قبل العودة الى البيت.
قالت شيلا لساشا التي توقفت لتستمع إليها:«أظنك راجعة الى رسومك مرة أخرى هذا الصباح؟»
«كلا. انها ليست راجعة.» ونظرت المرأتان بدهشة الى مصدر الصوت الحازم الذي جاء عبر المدخل والذي تابع يقول:«لقد أجهدت نفسها في العمل بما فيه الكفاية. وستأخذ الآن بعض الراحة.»
قالت ساشا وقد شاب صوتها بعض الرجفة:«أوه، احقا؟» كان ريكس يبدو رائعا في شكل لا يصدق في سرواله الجينز وقميصه الأسود وهو يتقدم بكرسيه.
قالت شيلا وهي تحس بالتوتر الذي ساد بين ساشا وابنها:«أوه، حسن.» وبدا من تجهم وجه شيلا ونظراتها ان ليس لساشا أمل في الفوز. وصعدت معتذرة بأن عليها ان ترى ديبورا.
«كيف حالك هذا الصباح؟» لقد تحدث ريكس برقة بالغة محت الآثار التي خلفتها لهجة والدته غير المشجعة.
اجابت باسمة:«انني بخير.» ورأت عينيه تضيقان فعادت تقول بإصرار:«حقيقة انا بخير.» كانت عيناها تعانقان خضرة الحديقة وزرقة السماء. لقد كان الجو غائما في الصباح الباكر، ولكن الشمس الآن كانت دافئة مشرقة تتألق على قطرات الندى، ليبدو كل شيء متلألئا حلوا رائعا.

قال:«لقد اجتزت، منذ أقمت بيننا، كثيراً من الصعوبات والتوتر.»
لم تكن متأكدة مما يعنيه، هل هو يقصد فقدانها لنقودها ولجواز السفر وكل شيء، أم ما سبق ان أخبرته به أمس في السيارة؟ ولكن معاملته لها كانت بالغة الرقة منذ ذلك الوقت. كان رأيه سديداً ليلة أمس في ان تغتسل بالماء الدافىء لتخفف من ألم الرضة في كتفها التي حدثت بسبب سقوطها من المنطاد، وقد شعرت فعلاً، بالتحسن أثر ذلك.
قال لها:«لم تكوني قد أمضيت اكثر من بضعة أيام في هذه البلاد قبل ان يحدث لك ما حدث. وقد سبق ان اخبرتني بنفسك انك لم تستطيعي رؤية الكثير، إلى جانب لندن والساحل. إذا، فأنت ستأخذين فرصة يمكنك معها القيام بما جئت من أجله... وهكذا تستمتعين كما تشائين.»
قالت:«ولكنني مستمتعة هنا.»
قال ونظراته تتنقل بين يدها الرشيقة التي كانت تحمل الورود وشعرها الحريري الأسود وملامح وجهها الخالية من الزينة:«ومع ذلك.. فإننا ذاهبان الى مشاهدة بعض الأماكن، هذا النهار، فاذهبي وأعدي نفسك.»
إذا، فهو سيأخذها معه؟ وأسرعت ساشا مذعنة متجاهلة تدفق الدم الحار في عروقها.
استبدلت ثيابها، السروال القصير والقميص، بسروال طويل أبيض وقميص حريري برونزي اللون وخفين مناسبين.
ابتسم لها وهي تجلس قربه في البي إم دبليو وهو

يقول:«هذا رائع.» شعرت ساشا بوجهها يتوهج ونظراته المتكاسلة تسري في أوصالها.

إلام كان يشير؟ الى مظهرها؟ ام الى الوقت القصير الذي استغرقه استعدادها؟ لقد كانت قد صممت على ألا تدعه ينتظر طويلا. ولكنها كانت ترجو ألا يعلم كم كانت متلهفة الى قضاء النهار معه وهي ترى مايكل يغلق باب السيارة.

تضمن نهارهم سياحة بطيئة في أكثر بلدات المنطقة، خصوصا المناطق التي يقصدها الفنانون، مثل هاي واين وفلات فوردميل ومنطقة كونستابل.

«عدا الشجرات الثلاث التي كانت لا تزال كما رسمها كونستابل تماما.» كانت ساشا تعلق بهذا على ما ترى وقد أفعمها السرور. ورأت الكوخ الشهير في رسمه قد بقي محفوظا بواسطة اللجنة الوطنية وأن الأرض خلف الشجرات الثلاث على الضفة الأخرى للنهر، والمطحنة المبنية من القرميد الأحمر، كانت لا تزال طبيعية غير مطوّرة كما كانت في حياة ذلك الرجل الفنان.

نظر إليها غامزا بعينه وهو يقول:«لا أدري ما كان الرسام ليقول على كل هؤلاء الزوار.» ولم تكن هي فقط التي تأثرت بغمزته تلك من بين اولئك النساء اللواتي كن هناك. كانت تسير الى جانبه وهو يقوم برياضته اليومية رافضا أي مساعدة منها.

عندما شعرت بالحيرة البالغة لشدة اهتمام النساء به وانجذابهن إليه. كن يتدافعن ليقدمن إليه أي قدر من العون. فكرت وهي تلوي شفتيها بجفاء متسائلة، هل كان تصرفهن هذا نابعا حقا من عطف وهن يرينه

سجين الكرسي، أم أنه انجذاب الى رجولته الطاغية؟ كان بالتأكيد صادقا في شيء واحد، هو أن المكان كان، فعلا، غاصا بالزوار كما أشار.

كان الفنانون يجلسون خارج الكوخ الرائع يرسمون تخطيطاتهم. وكان المقهى المشرف على النهر يستقبل الزوار بكثرة، كما كان الجسر الصغير على النهر يغص بالسياح بعضهم يستأجرون القوارب او يتمشون وآخرون يجلسون ببساطة مستمتعين بالمناظر الطبيعية الرائعة.»

قالت ساشا:«هل تمانع في أن آخذ آخر صورة فوتوغرافية؟»

كانا في طريقهما الى حيث تقف السيارة، وخفق قلب ساشا وهو يقول باسما:«لا... يمكنك ذلك.»

هرعت تصعد الجسر لتأخذ صورة للحقول، ثم نزلت لتنضم إليه ولم تلبث ان وقفت مصعوقة.

كان هناك كلب ضخم قد وقف الى كرسي ريكس متمسكا به بمخالبه وهو يهز ذيله. وكان ريكس يضحك وهو يحاول تجنبه، ضاحكا في وجه المرأة الجميلة التي كانت تحاول ان تبعد الكلب عنه.

سمعتها ساشا، وهي تقترب منهما، تعتذر قائلة:«إنني آسفة حقا على ذلك. ولكنه ليس دوما بهذا العصيان. لا بد أن عندك طريقة تجعل الكلاب تتصرف في هذا الشكل. ولكن هذا الجينز الذي ترتديه... إنني آسفة...»

لقد سبق للكلب ان كان في النهر فرأت ساشا أثر قوائمه الموحلة يغطي أحد ساقيه الطويلين.

عادت المرأة تقول:«اتسمح بأن اعطيك شيئاً مقابل

تكاليف غسل السروال؟ أم ان هناك شيئاً آخر استطيع القيام به مقابل ذلك؟»

قالت ساشا بعد ان لم تستطع حفظ لسانها:«لماذا لا تخلعينه سرواله وتغسلينه له؟» لم تكن تعرف من أكثر تهافتا على ريكس، المرأة أم الكلب.

قالت المرأة وقد انتبهت فجأة لوجود ساشا:«أوه.. إنني آسفة.» أخذت تنظر إليها من أعلى الى أسفل وكأنما هي تعجب مما يمكنها ان تفعل مع ذلك الرجل الرائع الجاذبية. وفي شكل ما استطاعت الآن ان تتحكم في تصرفات الكلب.

قال ريكس للمرأة بابتسامة رأتها ساشا، وهي تلوي شفتيها، كالفضة البراقة:«لا بأس. لا تهتمي بذلك.»

ما لبثت المرأة ان ابتسمت لريكس ثم جرّت كلبها ليبتعدا معا.

قالت ساشا ضاحكة:«لا استطيع تركك وحدك ولو لمدة خمس دقائق. أليس كذلك؟ ألا تظن انه من الافضل ان ابتعد عنك لكي اتجنب التشنج من جاذبيتك؟»

قال ريكس ببطء وهو ينفض عن سرواله أثار قوائم الكلب ناظرا إليها بطرف عينه:«لا أدري لماذا يتملكني شعور بأنك لا تعنين ذلك حقا.»

قالت وقد سرت رجفة في أوصالها:«لا مانع لدي.» لقد قالت ذلك من دون حماس، فلماذا بدت وكأن المقصود منها انها فعلت؟

قالت:«هل يحدث هذا في كل مكان تذهب إليه؟ اقصد لفتك الأنظار هذا؟»

قال يغطيظها وهما يتابعان السير:«لماذا هذا السؤال؟

هل شعرت بالإهمال؟ ربما في استطاعتك ان تحصلي على واحدة كهذه.» وأشار الى كرسيه وهو يتابع:«عند ذلك تدهشين من المفاهيم المختلفة عن الحياة التي يحصل المرء عليها من هذا المكان.»

ضحكت بجفاء وقالت:«سأفعل ذلك حقا، انما اولاً يجب ان أحصل على جاذبية مهلكة للكلاب والقطط.»

انفجر ضاحكا وقد لطف ذلك من أساريره:«ربما لان الحيوانات تحب الجلوس في الاحضان.»

قالت باشمئزاز:«اتعني الحيوانات أم أصحابها؟»

نظر إليها بنظرة ساخرة وهو يقول:«أوه، هذه قذارة. والآن، ما الذي يثير كل هذا الحنق في هذا الشكل؟ إنني أعجب.»

كانت هاتان العينان الساخرتان شديدتي الدهاء، ضحكت بشيء من التوتر قائلة:«أوه، إنه زهو الرجولة.»

لاحظت ان المنحدر الصغير في موقف السيارات المخصص للمقعدين، يبدو عملية صعبة حتى بالنسبة إليه. فأضافت بوقاحة متعمدة:«سأبحث عن خادمك يا سيدي.»

اسرعت تبحث عن مايكل وهي تشعر بساقيها لا تكادان تحملانها من تأثير النظرة التي رمقها بها ريكس. بعد ذلك بدا ابتهاجهما يزداد شيئا فشيئا، وربما كان السبب في ذلك شعور ريكس بأن ساشا يجب ألا يفوتها شيء تشعر هي بالرغبة في رؤيته. وبدا عليه هو نفسه الاهتمام بأعمال الرسام كونستابل، كما لاحظت، شاعرة بأنه لم يكن مجرد مجاراة لها وذلك عندما طلب من مايكل ان ينتظر جانبا بعد دقائق من تركهم في موقف السيارات.

ومال جانباً ينظر الى البطاقة المصورة التي اشترتها وهو ما زال معجبا باللوحة المشهورة حقل القمح قائلا:«هذا سيعجبك يا ساشا... إنه كما تريدين بالضبط.» على قمة التل. اخذا يمتعان النظر بمناظر ديدهام فيل الهادئة. المروج الخضراء والخمائل التي تحدق بها الغابات الغامضة وتخترقها الجداول. البرج الرمادي لمعبد ديدهام العلامة البارزة الخالدة للمنطقة، النهر المتعرج والاشجار. الطريق الجانبية المتفرعة من الطريق العام. هل هو نفسه الظاهر في البطاقة المصورة؟ هزت كتفيها وعادت بنظرها الى حقول القمح الذهبية الممتدة أمامهم يتعارض لونه مع خضرة الوادي.

قالت بشك:«هل هذا المنظر هو ذاته؟» كان ثمة تناقضات كثيرة ولكن...

ضحك ريكس وهو يميل نحوها لينظر الى البطاقة التي كانت تحملها، ليجعلها تشعر بالضيق من ذراعه الممتدة على مسند مقعدها. وسألها باسما:«ماذا وجدت؟»

اجابت:«حسن، أظن ذلك.» شعرت بموجة من الدفء تنبعث من ذراعه تلك أكثر من حرارة الشمس. قالت وهي تتأمل الصورة:«ولكن، لو كان المنظر هو ذاته، لما ظهر المعبد في الناحية اليمنى...»

عاد ريكس يضحك وهو يقول:«هذه هي طريقة الفنان. إنني متأكد من انك تعرفين كل هذا. الحقيقة ان كونستابل يأخذ من المشهد أجمل ما فيه، كما هو الحال مع ذلك المشهد.» وأشار برأسه نحو بطاقتها متابعا:«ولكن الحقيقة المرة وراء ذلك الرسم أنه لم يستطع بيعه قبل عشر سنوات.»

«عشر سنوات؟» وعادت ساشا تنظر بحيرة الى بطاقتها الصغيرة التي تصور بمهارة نضج القمح الذهبي، وحركة الأشجار والجدول الذي كان يشرب منه ولد صغير. والمشاعر التي تنبعث من الرسم. تمتت بحزن:«لا بد ان ذلك قد حطم قلبه.»

هز ريكس كتفيه قائلاً:«لا أظن ذلك. فقد تابع الرسم. فالانسان لا ينتهي إذا لم تأت الامور على النحو الذي يريد. وهنا يأتي دور العزيمة التي تقف بينه وبين التراجع والهزيمة. يجب عليه ان يصمد مثابرا. وهذا يدعى المرونة.» كان يعبر عن الحقيقة الواقعة.

فكرت في ان هذا ما يتحلى هو به... العزيمة والمرونة... ولكن، لماذا يرفض ان يتلقى المساعدة من أحد؟ وخصوصا اولئك الذين يمكنهم ان يساعدوه في استعادة القدرة على السير؟

رفعت إليه عينين رقيقتين معبرتين عن رغبتها العميقة في ان تفهمه. ورأت في عينيه لمحة خاطفة فيها بعض الجواب عن تساؤلها هذا، ورأت شيئا آخر... هل هي الرغبة؟

كانت لا تزال تكافح لتتمالك مشاعرها عندما وصلا الى قرية ذات مناظر رائعة. وسمعت ريكس يقول:«هذه هي قرية كيرسي التي تعتبر أجمل قرية في انكلترا.»

ادركت سبب هذه التسمية إذ كانت تتصاعد على التل. وكان الشارع الرئيسي فيها، خليطا من البيوت الخشبية والأكواخ الجميلة المطلية باللون الرمادي ثم بيوت أكبر وأجمل من طراز القرن الماضي حيث لا بد انها كانت مساكن لتجار ذلك الحين، الذين كانوا يجمعون ثرواتهم

من تجارة الاصواف التي كانت سائدة في إيست انكليا منذ زمن بعيد. لقد تذكرت انها سبق ان قرأت عن كل ذلك وعن الطبقة العاملة التي تكونت نتيجة ذلك من جيرانهم الفقراء. ولكن الشيء الأساسي في تلك القرية، كما رأت، هو النهر الصغير الضحل الذي يقسم القرية الى قسمين.

لم تتمالك عن الضحك وهي تقرأ على لوحة وضعت على جانب الطريق مكتوب عليها: إفسح الطريق للبط. وعندما ابطأت السيارة في سيرها انكفأت ساشا على وجهها، وهي ترى ابتسامة ريكس الدافئة وهو ينظر الى الطيور البيضاء السمينة التي تتواثب أمامهم.

قالت: «ثمة مثل هذا عندنا في نيويورك.»

قال: «هل تحبين العيش في مثل تلك المدينة الكبيرة؟» كانت لهجته تتضمن تفضيله الحياة في الريف بالرغم من دائرة اعماله المزدهرة في العاصمة. وتابع يقول: «لا يمكنك ان تعطي عن نفسك انطباعا بأنك من نوع الفتيات اللواتي يشعرن بالسعادة في العيش في بيئة بعيدة كل البعد عن الاجواء الريفية. وأتصور ان مهنتك هذه تؤهلك للعيش في أي بيئة تريدينها، فلماذا تلتصقين بنيويورك؟»

قالت هي تهز كتفيها: «اظنها العادة فقط. فقد اعتدت العيش هناك على الدوام. مع ان والدَيّ طلبا مني، حين تزوج كل منهما، السكن معهما.»

قال: «ولماذا لم تقبلي ذلك؟» كان في صوته، وهو يسألها تردد بسيط وكأنما يخشى ان يفسر كلامه هذا على انه إثارة لذلك الموضوع الذي سبق ان اعترفت له

به. ولكنها، لدهشته، ابتدأت بالحديث من دون أي تأثر قائلة: «لقد كان عمل بن في نيويورك وأردت انا ان ابقى الى جانبه. وبعد موته...» هزت كتفيها: «لا أدري الآن...»

قال ريكس بهدوء: «لقد قلت انه كان معلمك؟»

قالت: «نعم، مع انني عرفته في اثناء الدراسة قبل الجامعة... عندما جاء ليسكن في حيّنا. لقد كان استاذاً عظيماً في الحقيقة.» قالت باسمة واستطردت: «أحيانا افكر في أنه علمني كل شيء أعرفه عن الفن.»

استرسلت في أفكارها عند هذه النقطة... لقد انجذبا الواحد الى الآخر، منذ البداية، ولكن انجذابهما هذا لم يكن من الخطورة والتأثير كما هو الحال في انجذابها الآن الى هذا الرجل الموجود الى جانبها عندما اخذها بين ذراعيه. لقد ابتدأ الأمر مع بن بهدوء ونما بحرارة عادية.

كما لو ان ريكس كان متتبعاً سلسلة أفكارها، قال بصوت هادئ لا يسمع في المقعد الأمامي: «هل كنتما تعيشان معاً؟» لم يكن يقصد، في سؤاله هذا، ان يكون فضولياً او ما شابه، وإنما ليتفهم مدى الضرر الذي لحق بها.

اجابت: «كلا.» ذلك انه رغماً على أنهما كانا حبيبين، فإنها، عندما تفكر احياناً في الماضي، كانت تتساءل لماذا بردت عواطفه فجأة في ما بعد. وتابعت تقول: «لقد كان والداي محافظين وما كان ليعجبهما لو أننا عشنا معاً في منزل واحد. ولم أشأ انا ان اغضبهما. كنا سنسكن في شقتي بعد الزواج. والآن...» وأشارت

بيدها ما يعني ان كل شيء قد انتهى الى لا شيء، وتابعت:«لا أدري. إن فكرة العيش في الريف تزداد جاذبية لي الآن يوما بعد يوم. لهذا، ربما في ما بعد، انتقل الى نيو انغلند، قرب أبي.»

التوى فمه متأملا لحظة ثم، وعلى غير انتظار، مدّ يده يمسك بيدها فتنبهر لذلك انفاسها، وهو يقول:«أخشى انني لا استطيع ان انصحك بالعيش في نيو إنغلند، ولكن ماذا بالنسبة الى احتساء الشاي الانكليزي الأصيل معا الآن؟»

هكذا وجدت نفسها، بعد ثلث ساعة، تجلس الى جانبه في مقهى صغير، يحتسيان الشاي الانكليزي بالقشدة.

قالت تسأله عن مايكل الذي لم يظهر له أثر سواء كان ذلك بإيعاز من ريكس او في شأن عمل خاص به منعه من أن يشرب الشاي معهما:«منذ متى يعمل مايكل عندك؟»

قال:«لقد ابتدأ عامل إصطبل، عند أبي عندما كان غلاماً، وبقي عندنا في منزل الاستراحة منذ ذلك الحين. إنه يقوم بأي عمل ولكنه متعصب جدا لعمله ولي وللأسرة جمعاء، وذلك قبل مراعاته مصلحته الخاصة.»

سألته:«هل تزوج؟»

قال:«تقريبا... أعني ان المرأة التي اختارها قد هربت منه ولم يتزوج أخرى. إنه الآن، كما أظن، لا يجد الوقت الكافي للاهتمام بهن. كما أنه، في تصوري، يرى النساء أمرا يهدد أمنه واستقراره.»

سألته قبل ان تستطيع إمساك لسانها:«مثلي أنا؟»

لقد ساورها شعور بأن مايكل بالدوين يعتبرها متطفلة

تدخلت بينه وبين سيده الغالي. ولكنها ما لبثت ان صعقت للمعنى الذي تضمنه كلامها هذا، مما جعل وجهها يتضرج خجلا لتشغل نفسها بوضع القشدة في الشاي. وهي ترجو ألا يكون ريكس قد لاحظ ذلك. ولكنه أجاب بلطف وقد ظهر في عينيه مزيج من الرغبة والتسلية:«لقد قلبتنا جميعا، يا ساشا، رأسا على عقب.»

خفضت نظرها الى يديه اللتين كانتا تضعان المربى على الخبز فوق القشدة، وهي تتساءل عما تراه يقصد بكلامه هذا. هل تراها أثرت فيه الى هذا الحد؟

قالت:«يبدو أنني أسبب الفوضى في أي مكان أذهب إليه.» وضحكت في محاولة للتغلب على شعور الضعف الغريب الذي انتابها إزاء كلامه هذا. ورغبة في تغيير الموضوع قالت:«المفروض ان تضع القشدة فوق المربى وليس العكس.» كان هذا، على الاقل، ما اعتادت ان تقوله جدتها الانكليزية.

ضحك معها وهو يقطع جزءاً من الكعكة بشهية رجل هازا رأسه بسرور وهو يلعق المربى. ثم قال:«ذلك ان القشدة هي بديل من الزبدة. ان كل انسان يدرك ذلك. هذا مع أنني أملك أفكارا إنقلابية في هذا المضمار تكفي لبدء حرب. أين تفضلين انت ان تكوني؟ في صف أنصار الملك أم صف انصاف البرلمان؟ أنا شخصيا أحبذ لك صف أنصار الملك لأن فوق شفتك شاربا ابيض كشارب الملك.»

«أوه...» وبسرعة، مسحت ساشا شفتها العليا التي كانت ملطخة بالقشدة فكانت بذلك مثار سخريته الضاحكة.

قالت له بينما كان يحرك السكر في الشاي:«هذا لأن فمك

كبير بما يكفي لتدس المعلومات في الرؤوس.»كانت مسرورة بهذا المزاح بينهما. ورفعت رأسها تسأله:«هل هذا أحسن؟» قال:«من دون حدود.» ومال نحوها محاولا تقبيلها، ولكنها ابتعدت عنه مجفلة، فعاد يستقيم في جلسته وهو يقول بصوت منخفض:«إذا كنت لا تحبين هذا التجاوب، فدعي عنك تعمد الإثارة.»

قالت:«لم أكن لأتعمد ذلك.» هل كانت تتعمد ذلك حقاً؟ وأحست بالحيرة. إذا كان صوته هو مرتجفا في هذا الشكل، فكيف بصوتها هي؟ وخشية من ان يظن انها كانت تغازله، اخذت تتأمل ما حولها من زينة وزخارف وكلها مصنوعة من القش مثل أجراس، قرون، حدوات حصان، وكلها تزين جدران ذلك المقهى الصغير، وموضوع منها على الطاولة للبيع. قالت:«يا للأسم الجميل اذ يسمونها دمى القمح... لماذا أطلقوا عليها هذا الإسم؟»

علمت من نظرته ذات المعنى أنه أدرك انها تعمدت تغيير الموضوع.

ابتسم لها بجفاء قائلاً:«ذلك يعني دمية بمعنى تمثال او صورة. وهذا من مخلفات عبادة الاوثان. اما الآن فصنعها هو فقط من باب الهواية، لكي تجذب السياح. وكانت، في وقت من الاوقات من ضروريات الريف الانكليزي. كانت الدمية تصنع من آخر رزمة من القمح، للدلالة على انتهاء موسم الحصاد. وكان البعض يعتقد ان هذه الدمية يجب ان تدفن وتنتظر الحبوب كامنة في التراب طوال الشتاء لتستيقظ في الربيع الى حياة جديدة.»

كانت طريقته في رواية هذه الاسطورة تثير كل الشاعرية الساحرة التي ترافق تلك الازمنة الغابرة. اطلقت تنهدة خافتة وهي تهمس:«لشد ما احببت تلك الفقرة الأخيرة.»

ابتسم ابتسامة خاطفة وهو يقول:«لقد ظننت ذلك.» ولكن الطريقة التي كان ينظر بها اليها بتلك العينين المقلقتين اللتين بعثتا التوتر في جسدها، جعلت قلبها يزداد خفقانا، وهو يستعيد الحديث عن الموضوع الذي سبق ان حاولت تغييره، وذلك بقوله:«إذا أردت ان تعرفي لماذا أجد صعوبة في ان أبعد يدي عنك، فالسبب، ببساطة، لأنك... وعفوا لهذا التمثيل، تمثلين الخبز الطازج لرجل اعتاد دوما ان يعيش على الحلوى المزينة الدسمة.»

ضحكت بصوت مرتجف قائلة:«تعني خبزا أبيض ومحمصا.» كانت تسخر من نفسها بينما كل عصب في جسدها يهتز تجاوبا مع قوله ذاك غير قادرة على النظر الى تلك العينين الرماديتين الحادتين نوعا ما.

قال:«أعني به غنيا بالمواد الأساسية، جماله طبيعي، وأكثر من ذلك، فهو أكثر إشباعا للرجل. لأننا نعلم، نحن الاثنان، اننا نكذب حين نتجاهل ان ثمة درجة من التجاذب الجسدي بيننا، كلا، ليس درجة وإنما مقدار سيأتي يوم ينفجر فيه انفجارا هائلا. ولكنك ما زلت غير مستعدة لعلاقة جادة بعد، يا ساشا. حتى لو كنت كذلك، فأنا لست بالرجل القادر على ان اقيم معك مثل هذه العلاقة. أوه إنني لا اعني انني لا استطيع انشاء علاقة أساسية، ولكن حسب ما اعتقد هناك اشياء اخرى يجب اعتبارها...»

«لورين مثلاً؟» قالت ساشا ذلك وهي لا تعرف لماذا يجب ان يطفو اسم هذه الفتاة الجميلة فوق كل شيء آخر. وبعد، فإن هذا الاسم لا يعنيها بشيء.

استطردت تقول:«لقد كنت محقا في قولك في البداية... وهو أنني غير مستعدة بعد.» وتنفست بعمق لا تريد ان تعترف، لنفسها قبل أي شخص آخر، بأن كل ما عليه ان يفعل هو ان يأخذها بين ذراعيه، لتنسى، عند ذاك، كل شيء عن بن. وطردت هذه الافكار من ذهنها لتقول بصوت خفيض متوتر:«ارأيت، لا شيء يدفعك الى الخوف. إنني لا اتطلع الى علاقة مع رجل الآن وعلى كل حال...» كان عليها لسبب ما، ان تقول:«...لقد كانت عندي فكرة انك مرتبط إلى حد كبير بلورين.»

ارتفع حاجباه مستنكرا الحديث عن ابنة عمه، وهو يقول:«أوه، احقا ذلك؟ كيف ومن وضع في رأسك هذه الفكرة؟»

لا تستطيع ان تقول ان ديبورا هي التي اخبرتها بذلك. او ان ما بدا على لورين هو أفصح من أي كلام. وقالت:«أليس هذا صحيحا؟»

بدت عيناه الرماديتان تخترقان عينيها إلى الأعماق. قال:«وكيف يمكنني ان اتزوج لورين، أو أي امرأة اخرى، وأنا على هذه الحال؟» وانحدرت نظراته الى كرسيه المتحرك الذي يمثل سجنا لا يمكنه الفكاك منه، وقد تجهم وجهه والتوت شفتاه بوحشية.

قالت:«إنني اسفة.»

لم تعرف ماذا تقول غير ذلك. كان التفهم لآلامه وخيبته، يكسو وجهها. بينما كانت تحس بأن مشاعرها هي

كحبات القمح المدفونة في التراب التي تحدث عنها قبل لحظات، عند ذلك قالت:«قد لا تبقى دائما هكذا...»

قاطعها بحدة:«دعي عنك هذا. لقد سبق ان أخبرتك أنني لا اريد شفقتك.» وألقى نظرة على صحنها وبقية كعكتها وهو يتابع:«هل انتهيت؟» كان صوته خشنا يتجلى فيه نفاد الصبر.

لو أنها لم تكن قد انتهت، فقد انتهت الآن، بعدما هجرتها شهيتها. قالت:«انني لم أقصد بقولي هذا، ما فهمته.» كان عليها ان تستمر معه بكل قدرتها حين استجمع قدرته المقيدة ليندفع بكرسيه نحو المكتب ليدفع ثمن الطعام، وليحظى بابتسامة عطف من فتاة الصندوق، مما جعل ساشا، تشعر بالإستياء وخيبة الأمل من ان تحاول تعديل الموقف بالنسبة الى مشاعره. وكان بالرغم من مزاجه الجاف لا يزال يحتفظ ببعض اللطف البارد وهو يسمح لها بأن تتقدمه في الخروج. عادت تقول:«انك تعرف أنني لا أقصد هذا بقولي.»

كان المقهى في شارع القرية الرئيسي. ولكن مايكل لم يكن قد عاد بعد بالسيارة. وهكذا جلست هي على جدار منخفض قرب المقهى مستمتعة بدفء اشعة الشمس على وجهها وذراعيها، مما أمدها بالشجاعة لأن تقول:«إنني اعرف انك لا تستطيع السير، ولكنك احيانا، يا ريكس، صعب جدا. وأحيانا انت مفرط الحساسية نحو هذا الأمر ولو بالنسبة الى كلمات قليلة.» فليطردها من منزله إذا شاء، وقد يفعل ذلك... كانت تفكر في ذلك بعد ما انتابها اليأس من الطريقة التي كان يحدق بها إليها. كانت صدمتها كاملة حين بدت على ذلك الفم الصلب

تكشيرة وهو يقول:«إذاً، فها أنا ذا الآن اعيدك إلى الدموع من جديد.» كان ذلك حقيقيا إنما ليس تماما.
قالت وهي تشعر بنفسها قريبة من البكاء:«إنني لا أبكي.» وأخذت تحدق الى زجاج المقهى بعينين لا تريان.
وما لبثت ان شعرت بصدمة وسرى في جسدها تيار كهربائي عندما أمسك ريكس بيدها فجأة ثم ضغطها على شفتيه.
قال بصوت بالغ الرقة:«لا بأس... يمكنني، على الأقل، ان اضبط نفسي تجاه هذا العمل.»
لكنها لم تستطع. أغمضت عينيها وكل عصب فيها ينبض حين لمست شفتاه الدافئتين يدها. لقد سبق ان وافقته على انها ليست مستعدة لإجراء علاقة، ولكنها كانت، في الحقيقة، مستعدة لذلك، ومعه هو. لقد أرغمت على الاعتراف بذلك الآن.
رفع ريكس رأسه لينظر إليها بعينين لامعتين وهو يقول:«لقد جعلتني أشعر بأشياء لا حقَ لي بالشعور بها يا ساشا.»
فكرت، يحدوها على ذلك شعور عميق غامض، بأن شعوره بعدم حقه في ذلك لا يعود الى ان ذلك الحادث قد جعله مشلولا وإنما بسبب لورين.
ارتجفت من لمس أصابعه، وشعرت بانحطاط بالغ في قواها من تاثير تلك العواطف المتضاربة، وما لبثت ان شعرت بالإرتياح وهي ترى السيارة آتية من بعيد.

الفصل السادس

تتابعت الأيام وعجبت ساشا وهي ترى انها قد أمضت حتى الآن، حوالي ثلاثة اسابيع في منزل الاستراحة، وفي انكلترا نحو أربعة أسابيع.
لم تستطع ساشا، حتى الآن، الاتصال بوالدتها. ولما كانت تعلم ان والدتها وزوجها، قد اصبحت عودتهما الى البيت متوقعة في أي وقت، لتنهي كل معاملاتها المالية ورسومها الجدارية كذلك، فقد شعرت بالألم يعتصر في قلبها وهي تفكر في أنه لن يبقى أمامها ما يجعلها تقيم في ذلك البيت بعد الآن. وفكرت في أنه حتى ذلك الحين، تكون الأيام التي امضتها فيه في منتهى السعادة، خصوصا الأماسي بعد العشاء، عندما كانت شيلا والدة ريكس تذهب الى الاصطبل لتفقد الخيول او لتراجع آخر التقارير عن مختلف الجمعيات الخيرية التي كانت مشتركة فيها، لتبقى هي، ساشا، مع ريكس وحدهما.
كانت وحدها تلك الليالي التي كانت ساشا تتطلع إليها والى ما كان يتخللها من مساجلات طويلة تشمل المواضيع الذهنية والمرحة بينها وبين ريكس كانت احيانا تمتد ساعات طويلة.
لم يكن من عادتها من قبل الاستمتا ع بالحديث مع أي شخص كان او الاستماع إليه بهذه الكثرة. وكانت إذا ما حانت لحظة الإفتراق لتذهب الى فراشها، تحس بلوعة غريبة. ولكن كانت بينهما دوما نظرات صامتة وتلميحات

وضحكات او حتى تأوهات. أحاسيس عاطفية مشتركة على الدوام تجمع بينهما، وكانت تنذر احيانا بالانفجار. وكانت تعرف انها إذا تجاهلت هذا الإنذار وبقيت، فإن إرادة ريكس الحديدية ستنهار ويتوقف الحديث لتجد نفسها متورطة في مشاكل مع رجل قد سبق ان ارتبط جزئيا بامرأة أخرى. انها مشاكل لا تريدها وليس لها طاقة على مقاومتها.

من الغريب ان القدرة على كتابة قصص الأطفال التي كانت قد ظنت أنها ماتت مع موت بن، قد عادت فجأة بكل زخمها لتجد نفسها أمام فكرة جديدة لكتاب من كتبها الصغيرة. لقد فشل كتابها الأخير، لأن موضوعه كانت تنقصه الحياة تماما كما كان شعورها هي في ذلك الحين. لقد افعمتها روح منطقة سافولك الريفية بالإلهام، لتسبغ على عملها حيوية خلاقة، ولكنها في أعماقها، كانت تعلم ان السبب لم يكن ذلك فقط، كان مصدر ذلك الإلهام أقوى من ان يكون مجرد جمال الطبيعة، كان شيئا جديدا وأشد خطورة من ان تعترف به... حتى لنفسها. ولكن لم تعد الحياة مجرد ساعات، عليها ان تمضيها. لقد أصبحت معه تشعر بالحياة.

كان هذا الشعور مصدر سعادة لها. برغم ان غايفن تشيز كان قد حاول، عندما ذهبت معه ذات يوم الى السباحة في المدينة، ان يثبط من روحها تلك حين قال:«ما الذي تقصدينه بقولك انك لا تستطيعين تناول الغداء معي لأنك تتناولينه مع ريكس تمبلتون؟» ثم خرج من حوض السباحة ليتبعها مجتازا الأرضية المبللة، وقد شعر بالغيظ من رشراش المياه والصرخات التي

تتعالى من السابحين، وقبض على ذراعها يمنعها من الوصول الى غرفة تغيير الملابس وقد بان عليه عدم الرضى عن خططها لليوم التالي، وقال:«منذ متى؟ لا اظنك متورطة معه، أليس كذلك؟ إذا كنت كذلك حقا فأنت إنما تتصرفين بحماقة، ذلك من المعروف عنه ميله الى ابنة عمه الجميلة، والشيء الوحيد الذي يمنعه من الإرتباط بها هو إعاقته. حسن، إنك تعلمين حالته.»

حاولت ساشا ان تتملص منه غير راغبة في الحديث عنه او عن لورين. ولكن غايفن لم يتركها تذهب وبقي مصرا على متابعة حديثه ليقول:«من الواضح انه كان جادا في علاقته مع فتاة ابتدأت منذ أكثر من أربع سنوات قبل الحادث، ولكن يبدو أنها تركته لتعمل في وظيفة في الخارج، عندما علمت انه قد لا يستعيد قدرته على السير مرة أخرى. وكانت لورين الجميلة تنتظر بلهفة جمع الشمل، فلا تحاولي انت حل هذا الرباط العائلي المتين.»

قالت ساشا وهي تسحب ذراعها من يده بقوة:«ومن قال إنني أحاول ذلك؟ مسكين ريكس.» وشعرت برجفة لم يكن سببها الشعور بالبرد بسبب قطرات الماء الباردة التي تتساقط على كتفيها من شعرها المبلل. كيف يمكن لأي امرأة ان تكون بتلك القسوة؟

عاد غايفن يقول بجفاء وعدم ذوق كما رأت ساشا:«لا أظنه مسكينا، قد تكون هي عديمة الخلق حقا. ولكن ذلك لا يعطيه الحق في ان يحاول ان يستحوذ على مودة فتاتي وحنانها، في حين أنه غير مؤهل كفاية كما هو حاله الآن. فإذا كنت ستأتين الى لندن للتسوق

غداً، فيمكنك المرور عليّ في مكتبي أنا، وليس مكتبه.»
قالت وهي تشعر بالضيق من الماء المتناثر من جراء قفز إثنين من المراهقين الى حوض السباحة:«كلا، لا استطيع يا غايفن. إنني أحب الوفاء بالوعد.»
كانت تريد بذلك ان تظهر له، ببساطة، جانباً من مبادئها في الحياة. بينما كانت تتذكر شعورها عندما دعاها ريكس ذلك الصباح، والذي كان أشبه بشعور فتاة مراهقة عند أول موعد لها. عادت تقول وقد عادت ترتجف:«يمكنك ان تفكر في ما إذا كنت انا فتاتك، ولكنني إذا أطلب وقوفي معك، فقد أصاب بالتهاب رئوي.» وضحكت وهي توسع الخطى لتغير ملابسها.
في الصباح التالي، استقلت القطار الى لندن لتطوف على محال شارع اكسفورد. ولهذا فعندما وصلت الى مبنى تمبلتون التجاري الواسع، كانت مثقلة بحملها من أكياس مشترياتها المختلفة.
جاءها صوت ريكس:«مرحبا، يا ساشا. يبدو عليك انك امضيت صباحا طيبا.» وخرجت ديبورا من المكتب حيث كان ريكس يتحدث في الهاتف، لتسألها ان كانت ترغب في فنجان من القهوة أثناء الانتظار. وغاب صوت ريكس عندما اغلقت ديبورا باب المكتب، ولكن نبرات صوته العميقة تركت في نفسها أثرا جعلها لا تفكر في طعام او شراب.
قالت تجيبها:«لا، شكراً يا ديبورا، سأنتظر الى حين موعد الغداء.» وابتسمت للمرأة وهي تغوص في المقعد الوثير.
كان على شفتيها مسحة من الحمرة هي كل ما كان على

وجهها من زينة. وكانت قد اعادت تلوين شفتيها في آخر محل كانت فيه، وذلك لكي تبدو في نظر ريكس في أجمل مظهر. ولكنها الآن، وهي ترى ملابس ديبورا التي هي في غاية الأناقة، أخذت ترى بساطة ملابسها التي كانت مكونة من تنورة زرقاء واسعة وقميص أبيض وخفين.
جاء صوت ريكس الآمر بنبرة جافة متفكهة:«هل ابتدأت الزائرة بتدمير مكتبي، يا ديبورا؟ أدخليها قبل ان يحدث ما لا تحمد عقباه.»
قالت ديبورا مازحة:«حسن، ذكريه بأنك لم تبدئي العمل تحت إمرته بعد. او انك على الأقل لا تقبضين راتبا من مكتبه...» وضحكت مما يدل على نوع العلاقة الحميمة التي تربط ريكس بموظفيه.
ابتسم لساشا وهو ينظر إليها، من وراء مكتبه المصنوع من خشب الجوز قائلا:«صباح الخير.» وتسارعت دقات قلبها وهي تراه في بذلته الداكنة الرائعة، قاسيا خطرا كما ينبغي لمدير في الوسط التجاري ان يكون... الملامح القوية المسيطرة تلك، كانت تلطفها ابتسامته العاطفية المشرقة.
قالت تعارضه شاعرة بالسرور بذلك:«لم يعد الوقت صباحا بل هو بعد الظهر.»
رفع حاجبه بمكر، إذ كان يدرك طبعها ذاك، ليلقي بنظرة الى ساعته وهو يقول بلطف:«هكذا إذا.» وأخذ ينظر الى اكياس المشتريات في يدها سائلا:«يبدو انك اشتريت كل ما في شارع اكسفورد.»
ضحكت، ولكن الاهتمام بمشترياتها كان يبدو على وجهها مما أدهشها، وهو يشير عليها بالجلوس وينظر

الى الاكياس التي وضعتها الى جانب مقعدها اثناء جلوسها، ثم قالت:«انها فقط اشياء تفيدني في عملي. فراش وريش للرسم، دفاتر للتخطيط و...»

قاطعها قائلا:«وماذا ايضا؟» ونظرت إليه بعد ان سمعته يضحك بهدوء قائلا:«لا ملابس؟ لا مجوهرات؟ لا عطور؟» وأخذ يمعن النظر في بشرتها، في حاجبيها القاتمتين وأهدابها السوداء التي كان في طولها وكثافتها ما أغناها عن الكحل. وما لبثت ان بدت في عينيه نظرة غامضة.

قالت وقد شعرت بالاستياء من فكرة احتمال أنه يقارنها بلورين:«إنني لا أهتم بمثل هذه الاشياء في شكل خاص.»

قال:«كلا.» كانت هذه الكلمة هي كل ما قاله ولم تدرك ما إذا كان محبذا لذلك أم لا. ثم قال:«لقد تحدثت الى أمي هاتفيا هذا الصباح حيث أخبرتني انك انهيت رسومك الجدارية الليلة الماضية.»

شعرت بشيء من الذهول لتغيير الموضوع فجأة، ثم قالت ببساطة:«نعم.» كانت قد أكملت عملها بعد عودتها من السباحة مع غايفن حيث بقيت الى ساعة متأخرة من الليل، ولكن ريكس لم يعد قط ليلة أمس على حسب معلوماتها. وتساءلت والألم يعتصر قلبها، عما إذا كان قد امضى ليلته مع لورين.

قال باختصار وقد بان الرضى على وجهه وهو يرتاح بجلسته الى الوراء عاقدا يديه خلف رأسه:«هذا حسن.» وكان قميصه الرقيق يبرز صدره القوي العضلات.

كان من الصعب عليها ان تصدق أنه يجلس على

كرسي ذي عجلات. وقالت بعصبية:«انك لم ترها بعد انتهائها.»

قال وهو يحدق في عينيها بقوة جعلتها تخفض نظرها:«هذا صحيح. وقد لا تنال إعجابي ابدا... وعند ذاك تكونين مدينة لي حتما. أليس كذلك يا ساشا؟»

كان يمزح، ولكن بطريقة مثيرة جعلت ريقها يجف. وأخذت تراقب حركات يديه المرنتين وهو يجمع أوراقه المختلفة. كانتا يدين نشيطتين قويتين. وتصورت يده تلامس وجنتها الناعمة.

قال:«ما الذي تحبين ان تفعليه الآن؟»

رفعت نظرها عن يديه بسرعة وقد احمر وجهها وكأنما قد خشيت ان يكون قد قرأ أفكارها. وقالت مستغربة:«ان أفعله؟»

ألم يدعها الى تناول الغداء معه؟ وأجاب بشيء من نفاد الصبر:«نعم. ذلك انك لم ترى بعد لندن كما يجب في المدة القصيرة التي أمضيتها هنا. ولهذا اسألك الى أين تحبين الذهاب؟»

تصاعدت خفقات قلبها وهي تجيب:«إنني لا... لا أعرف.»

لكنه كان يعرف. وهكذا طلب من مايكل ان يأخذهما الى مطعم كان قد سبق ان حجز فيه مائدة لهما. وعلى شرفة مشمسة تطل على نهر التايمس، تناولا غداء مؤلفا من السمك والسلطة والخبز الطازج المحمص. وكانا وحدهما لأن مايكل، كالعادة، قد غاب عن الابصار. أخذا يراقبان المراكب وزوارق النزهة التي تنساب في المياه المتلألئة تحت اشعة الشمس. وكان ريكس

يطلعها على أسماء الجسور التي تصل جنوبي المدينة بشماليها.

قال:«لقد كنتم انتم الاميركيين، قد ادعيتم ملكية جسر لندن القديم، فأخذتموه الى أريزونا عندكم.» لمعت عيناه وهو يقطع السمك في صحنه، واستطرد:«أخشى ان عليك ان تذهبي الى ولاية أريزونا في أميركا لتري ذلك الجسر الشهير.»

وضعت ساشا يدها على صدرها تدعي خيبة الأمل، وهي تقول:«وأنا التي قطعت كل تلك المسافة لأرى جسرا هنا؟ حقا ان هؤلاء الاميركيين يستولون على كل شيء.»

ضحكت وهي تلتقط نظارتها الشمسية. واستطردت:«هل لديك أي اعتراض على ذلك؟»

نظر إليها بابتسامة جانبية وهو يقول:«ليس في هذه اللحظة، وفضلا عن ذلك فقد حصلنا عليك.»

اخذت ساشا تحدق في صحنها، وهي تقول:«هذا لا يكفي للتعويض عن الجسر.» وضحكت.

قال:«هذا يعتمد على وجهة النظر التي تتطلعين منها.»

كانت تعلم ان كلامه هذا لا يعدو ان يكون غزلا بسيطا، ولكن، لماذا تسبب مثل هذا الغزل في جريان دمها حارا في عروقها؟ وبعد، فهي لم تعد مراهقة، لم تعتد مثل هذا الغزل والمزاح من الرجال. ولكن لم يحدث ان قابلت من قبل رجلا بهذه الجاذبية الطاغية التي ينضح بها ريكس، والتي كان من تأثيره فيها ان كان تجاوبها معه من دون حدود.

تمتمت بكلمات لا معنى لها من دون ان تعرف بماذا ترد عليه. وسمعته يقول:«اتعلمين؟ انك بالنسبة إليّ فتاة

في السادسة والعشرين من عمرها سبق لها ان كانت مخطوبة سليمة النية الى درجة مدهشة.»

ضحكت وهي تحاول ان تبدو بمظهر المشمئز رغم شعورها بتورد وجنتيها:«وأنت مغازل خارج عن الحدود.»

قال بهدوء وعيناه تتفرسان في وجهها الجذاب:«كلا، ولكنني رجل يقدر الجمال.» وجعل صوته المتهدج بالعاطفة أنفاس ساشا تتبهر. كان الهواء يعبث بخصلات شعره بينما أشعة الشمس تتوهج على ملامحه الجذابة.

كان من سحر عينيه الرماديتين ان جعلها تتمتم:«وكذلك أنا.»

ارتسمت على ثغره ابتسامة دافئة بطيئة وسرى بينهما تيار قوي مخيف، جعل ساشا تحاول عبثا تمالك حواسها والظهور بمظهر طبيعي. قائلة بسرعة وبصوت مرتجف:«ما الذي يدور في ذهنك بالنسبة الى بقية النهار؟»

ألقى ريكس بالملعقة جانباً وهو يقول بابتسامة ماكرة:«الى جانب رغبتي القوية في الجلوس معك والتحدث مطولا، فأنا اقترح الذهاب الى المعرض الوطني بعد ذلك.»

لم يكن ثمة جواب عن ذلك، ولا حاولت ان تجيب والسبب هو ازدياد خفقان قلبها... وبعد ما اطمأن ريكس أنها نالت من الطعام الكفاية، خاطب مايكل بالهاتف النقال في حقيبته، ثم استدعى النادل لدفع الحساب.

مضى الوقت بسرعة بعد ذلك. برغم انه كان عليهما ان يدخلا المعرض من الباب الخلفي بالنسبة الى كرسي ريكس. فإنها لم تستطع إلا ان تعجب بقدرته في التغلب

على إعاقته ومصاحبتها ليشاركها تقديرها للرسم.
هتفت وهي تقف وجها لوجه أمام لوحة كونستابل المشهورة هاي واين تقول:«أنظر الى الجمال وقوة الحياة في هذه اللوحة...» كانت نظرتها الفنية مفعمة بالتقدير لمهارته في استعمال الألوان، اللون الأحمر واللون الأبيض المتألقان، كانا علامته المسجلة في هذه اللوحة التي كانت من أشهر اعماله.
قالت:«لا استطيع ان اصدق أنني أمام لوحته هذه.» كان في إمكانها البقاء أمام اللوحة الى الأبد. وكانت قد رأت هذه الصورة على تقاويم سنوية بلا عدد، ومطبوعة على بطاقات بريدية، ولكنها لا يمكن ان تقاس بأصلها الذي تراه أمامها.
كانت هذه هي زيارتها الأولى لهذا العرض. ومع أنها لم تظهر دهشتها علانية لاهتمامه بإحضارها الى هنا، فقد قدرت له هذا الى اقصى حد. وعندما انتبهت فجأة، إلى جلوسه بقربها كل ذلك الوقت، تمتمت تقول:«إنني آسفة ولكنني... لا استطيع ان أخرج الآن. فهل عندك مانع؟»
قال باسما:«إمكثي قدر ما تشائين.» وهزتها رنة صوته العميقة المتفهمة. ليس ثمة رجل آخر بمثل صبره، ما عدا بن... وفكرت بدهشة ان وراء ذلك المظهر الفولاذي قلبا حنونا شعرت به في غير مناسبة. لقد فتنتها شخصيته المتعددة الأوجه وجذبتها من دون إرادة منها. فمن تلك الجاذبية الى روح النكتة على ندرتها عنده، الى طبعه الحاد... ثم تأتي تلك الناحية العملية الجافة، الرجل الذي يصمم بحزم ومن دون هوادة، هذه الناحية التي

جعلت منه اليد المسيطرة وراء قصة اسطورية النجاح لمئات الملايين من الجنيهات، وفرضت احترامه على أكثر الرجال احتراما. بينما كان آخرون مثلها هي يهابونه نوعا ما. ولقد اعترفت بذلك بصدق في اثناء عودتهما بالسيارة تاركين المدينة وراءهما.
عند وصولهما، قال ريكس بينما كان مايكل يناوله العكازين ليخرج بهما من السيارة:«والآن جاء دوري أنا.»
فهمت ساشا انه يعني رسومها الجدارية.
قالت بلهفة قلقة:«لقد سبق ان أنذرتك بأنني لم أقم قبلا بمثل هذا العمل الكبير.» كانت تفكر في ما عسى ان يكون انتقاده لعملها ذاك. وهي تتبع كرسيه عبر القاعة حيث أنه لم يكن قد رأى رسومها تلك منذ المرحلة الأولى. ولكنه أشار عليها ان تسبقه نحو غرفة الحديقة بملامح خالية من التعبير.
فكرت بينما كان يتوجه بكرسيه نحو غرفة الرسم في ان هذا على كل حال بيته... وتساءلت عن شعور رجل في مركزه ينتظر الآخرون الكلمة الفصل منه.
قال من دون ان يحول عينيه عن الرسم:«أهذا حقا ما طلبت منك ان ترسمي؟» كان صوته باردا من دون تعبير مما جعلها غير متأكدة من رأيه. وتابع قائلا:«حسن، إنه يعكس شخصيتك بالتأكيد، طبيعية، عفوية، قوية العزم، مغامرة...» وتجهم وجهه وهو يرى عمل الفرشاة المسرف في رسم النباتات النضرة، ورشاش الدهان الجريء لإبراز حساسيتها نحو القمح الناضج. وفجأة استدار بكرسيه كانت تعابير وجهه مزيجا من الحيرة و... ماذا؟

وفكرت، هل هو لوم؟ عتاب؟... وغاص قلبها بين ضلوعها عندما قال بصوت لا يكاد يختلف عن الغضب:«لماذا، كنت تضيعين وقتك...؟»

قطع عليه كلامه صوت أمه عند الباب وهي تقول:«آسفة يا ريكس. لم أدرك انك قد عدت.» كانت لورين معها وقد بدت المرأتان في غاية الأناقة في ثياب ركوب الخيل. وفكرت ساشا في ان شيلا لا يمكن ان تدرك مبلغ خطأ التوقيت الذي اختارته لمقاطعتهما. وأصابها الهلع من ردة الفعل عند ريكس ومضت تتساءل عما كان بسبيل قوله قبل ان تقاطعه أمه. ألم تعجبه كل تلك الساعات الطويلة من العمل؟ وأحست بالتعاسة لترتسم على فمها ابتسامة باهتة عندما دخلت المرأتان. وقالت الام وهي تبتسم لساشا بتقدير كبير:«لقد قلت للورين ان تلقي نظرة على رسومنا ما دامت قد انتهت.»

قال ريكس ببطء وهو ينقل نظراته الساخرة بين أمه وساشا:«إذا فهي رسومنا الآن؟»

خفضت ساشا نظرها بعد إذ لم تستطع مواجهة نظراته. هل كانت تلك الابتسامة الخفية لأجل الآخرين؟

قالت لورين بجفاء، وكانت تغطي شعرها الذهبي بقبعة الركوب السوداء:«أظن ان من المناسب جدا لو كنتما أنتما ضمن رسوم الجدار هذه، إذ انكما انتما اللذان ستعيشان معها في النهاية على كل حال... وواضح ان عمتي شيلا هي المبعدة. وماذا عنك يا ريكس؟» واستدارت عيناها الزرقاوان إليه تلتمس موافقته على ما تقول. وحبست لورين وساشا أنفاسهما. هل ينتقدهما أمام الآخرين؟

كادت تشعر بالغثيان وهو يعود فيرفع نظره الى الرسوم مرة اخرى لترتسم على ملامحه المشاعر القوية التي تميزها. وكاد قلبها يكف عن الخفقان عندما نظر إليها وكأنما لا يوجد غيرهما في الغرفة، ليقول بلطف:«انها بالتأكيد تستحق ان نخسر جسر لندن لأجلها.»

قالت شيلا:«ما الذي تتحدث عنه يا ريكس؟»

قال:«إنه ما كنت أهم بقوله لها حين دخلت، وهو أنني لا أعرف لماذا تضيع وقتها في رسم صور جميلة على التقاويم السنوية للشركات، في حين تملك مثل هذه الموهبة.»

كان جوابه عن سؤال أمه المرتبكة بالغ الصراحة، ولا جواب عما كانت تقوله لورين.

شعرت ساشا بنظرتها الحادة، وأدركت ان الفتاة قد لاحظت بجلاء تلك الصلة الصامتة بينها وبين ريكس... ولكنها، فجأة، لم تعد تهتم وأفعم قلبها السرور.. لقد أعجبه عملها. ولم تنتبه لمقدار الحرارة التي تضمنتها ابتسامتها له، ولا لنظراتهما التي تعانقت مدة لم تغب عن ملاحظة المرأتين. ولكن فجأة جاءها من بعيد جدا صوت لورين مليئا بالتأثر واليأس، وهو يقول:«إننا ذاهبتان للنزهة لركوب الخيل يا ريكس، هل تأتي معنا؟» واخترقت كلماتها جو البهجة المحيط بساشا، وكذلك أصعقها صوت شيلا يقول بضراعة:«لورين.»

قالت:«إنك تعرفين ما أقصد.» وسرعان ما بدا عليها الندم بعدما رأت نظرة عداء ملتهبة من ريكس، فتابعت:«لقد كنت أقصد ان اقول ان كنت تريد ان تأتي لوداعنا.»

لقد قلبت كلامها بسرعة وقد بان عليها الحنق، ولكنها لم

تستطع إقناع احد من الحاضرين بقولها هذا. لقد كانت الغيرة تتملك حواسها بقسوة. وكان حب التملك الذي تشعر به نحو ريكس يدفعها الى مهاجمته بالطريقة الوحيدة التي تعرفها، ولتقول لساشا:«اظنك ستتركيننا قريبا لأن عملك هنا قد انتهى!»

كانت الإبتسامة التي منحتها لساشا تنطق بالحقد الجريح. وشعرت ساشا بالرثاء لها وهي تراها تجعل من نفسها اضحوكة.

قالت متلعثمة:«إنني...حسن، أنا...» لم تكن تعرف ما يجب ان تقول. انها لم تستطع الإتصال بأمها بعد لكي توافيها بأرقام تلك الشيكات. والقرض الذي منحها إياه ريكس قد استهلكته او كادت في النفقات اليومية المتناثرة من وقود لسيارتها، وصور لجواز السفر الجديد وكذلك الجواز ذاته... ومضت تقول:«أظن أنني...»

قاطعها صوت ريكس بحزم وهو يرمقها بنظرة قوية متحدية منعتها من الاحتجاج:«ان ساشا باقية هنا، أفهمت؟» سكتت ساشا وقد ساورها الإرتباك من ان تتحدث عن قصورها المادي أمام الآخرين. وما لبث ان ابتسم للورين، وقد سيطر على مشاعره بقوة خارقة، بتلك الابتسامة القاتلة التي يمكنها ان تحطم قلب المرأة إذا كانت ضعيفة.

ارتجفت ساشا عندما وصلت بتفكيرها الى هذا الحد. بينما كان ريكس يقول للورين:«والآن، كوني فتاة طيبة واخرجي واستمتعي بنزهتك وعندما تعودين قد يمكننا مناقشة اقتراحك عن ملحق الصالون ذاك.»

استنتجت ساشا من هذا الكلام ان لورين التي كان

والداها ثريين بما فيه الكفاية ما زالت تلجأ الى ريكس لتمويلها. ورمقتها لورين بنظرة قاتلة وهي تندفع خارجة كالعاصفة بخلاف شيلا التي انسحبت بروح مرحة.

قالت ساشا وهي تضع يدها على مسند احد الكراسي:«حقاً يا ريكس، انها ليست طفلة.»

فقال:«كلا.»

اخذت ساشا تلامس خشب الكرسي الناعم بأصابعها من دون وعي، ثم تنفست بعمق قائلة:«إنها تحبك.»

قالت ذلك وقد ضاق صدرها عندما رفع حاجبه الأسود متسائلا عن سبب الرجفة في صوتها ثم قال:«إنها فقط، تظن انها تحبني.»

قالت:«انها في الثانية والعشرين.» وفكرت في أنه لا يمكن ان يكون أعمى إذا كان لا يستطيع ان يرى مقدار جنون تلك الفتاة به. وأردفت بتردد:«إنها جميلة جدا.»

قال:«نعم.»

لماذا كل هذا الألم الذي شعرت به حين وافقها على ذلك. هل لشعورها بأن الشيء الوحيد الذي يمنعه من الزواج بها هو عدم قدرته على المشي؟

تحولت لتخرج، ولكنه سد عليها الطريق بكرسيه هو يسألها:«إلى أين تذهبين؟»

قالت:«ان النزهة في أنحاء لندن قد تكون ممتعة حقاً، ولكنها ايضا مرهقة. وأنا بحاجة الى الاغتسال لأحس بالإنتعاش.»

كانت تكذب لأن كل ما كانت تريده هو الابتعاد عنه. لكنه لم يكن على استعداد لأن يدعها تذهب. وأخذ يمعن النظر في ملامحها الشاحبة المتوترة، وهو يقول:«ولكنك ستبقين هنا.»

لم يطلب منها ذلك، بل كان يأمرها امراً. وهزت كتفيها قائلة:«نعم، الى ان تتيسر أموري لكي أرحل.»
قال:«وافرضي ان هذا لم يحدث؟» ابتسم وكأنما طرأت على ذهنه فكرة ليتابع قائلا:«إن أمامك اسبوعين فقط في هذه البلاد وربما بقيت أمك غائبة طيلة هذه المدة.»
قالت بإصرار:«هذا غير محتمل.» ولكنها مع هذا، أحست بوخز ألم في قلبها. كان قلبها جريحا من ناحية ريكس تمبلتون. فهي تعلم انه على الرغم من محاولته كبح ميله نحوها، فإن الجاذب الحسي الوحيد الذي شعرت به نحوه ان احساسها هذا كان شيئا أبعد من مجرد انجذاب، ولقد اعترفت الآن في قرارة نفسها بذلك. ولهذا، إذا هي مكثت وقتا أطول، فإنها لن تعرف بعد ذلك كيف تخرج من كل هذا.
على كل حال كانت تلك المعضلة تبدو وكأنها تحل نفسها بنفسها بسرعة اكثر مما توقعته، عندما تلقت مخابرتها الى نيويورك في اليوم التالي.

الفصل السابع

«لا بأس يا أمي. لا تقلقي. إنني بخير.» وضعت ساشا السماعة وقد أكتأبت مما لمسته من قلق أمها عليها. وابتسمت بعجز لشيلا التي كانت قد دخلت لتوها الى قاعة الجلوس. وقالت:«انها أمي.» أضافت وهي تنظر إليها بسذاجة وتتابع:«إنني آسفة، ولكنك لست مثل أمي.»
قالت شيلا بلطف:«ان القلق هو ميزة الأمهات، ولكن كلا، فإن ريكس ذو شخصية مستقلة قوية لا يترك مجالا لأحد كي يتدخل في مسيرة حياته.»
قالت ساشا توافقها على ذلك:«كلا، إنني اتمنى لو استطيع إقناع أمي بأنني لم أعد في السادسة عشرة.» تنهدت وهي تشعر بذلك التسارع المألوف لخفقان قلبها إذ سمعت صرير الكرسي المتحرك في القاعة.
لقد عرف بالأمر من دون ان تخبره. لقد رأت ذلك في نظرة عينيه القاسية قبل ان يلقي على أمه نظرة خاطفة سرعان ما جعلتها تترك الغرفة وقال:«هل نجحت؟»
اومأت ساشا برأسها قائلة:«ستذهب أمي الى شقتي لإحضار الشيكات السياحية. فيمكنني عند ذاك، ان أصرفها من المصرف حالما أبرزها. لقد قالوا ان الأمر قد يستغرق يومين او ثلاثة، عند ذاك يمكنني ان أرد إليك القرض الذي تفضلت بمنحي إياه، ثم، إذا لم يكن عندك مانع...» وشعرت بغصة في حلقها ثم تابعت:«... إن ما اقصده هو ... انني لا استطيع ان أبقى هنا فترة

أطول.» لماذا شعرت بمثل هذا العذاب وهي تقول ذلك؟ عن ذاك، إقترب منها وقد كست ملامحه خطوط قاسية جامدة وهو يسألها:«لمَ؟»

تزاحمت في رأسها أسباب لا تحصى... لانك تحب لورين! ولأنني أنا... أنا اشعر نحوك بجاذبية لا تصدق...!

طردت عنها هذه الافكار بسرعة لتقول:«يجب ان توافق.»

لماذا جاء هذا وكأنه التماس؟ فقال بجمود:«لا اقبل. وهذا لا يوافقني.» واشتدت قبضته على ذراع الكرسي حتى بانت عظام أصابعه. لقد رد عليها كلامها بعناد ساخر. إنه بالتأكيد لا يظن بها عدم الاعتراف بالجميل. وعاد يقول:«سنتحدث عن ذلك الليلة. بعد العشاء. إني على موعد مع وكيل عمل في ويندسور. وهذا سيشغلني النهار بطوله. ولكنني سأعود حوالى السابعة... فكوني على استعداد.»

اجابت:«ولكنني...» لكن تصميمه أسكتها وهو يستدير بكرسيه خارجاً وتنفست الصعداء. فهو على الأقل، يبدو أنه سيأخذها خارجاً ليناقش معها الأمر.. وهذا يعني أنه لا يريد ان يواصل الحديث أمام لورين.

على كل حال، فهو يستطيع ان يقول ما يريد. وهي ستستأجر غرفة في نزل حالما تتسلم نقودها. لقد صممت على ذلك، لأجل راحتها الذهنية إذا لم يكن لشيء آخر.

لتتجنب رؤية لورين، امضت ساشا معظم نهارها في غرفتها تعمل في صنع دميتها، دمية القمح قبل ان تقرر ان الوقت قد حان للاستعداد للخروج مع ريكس.

لم يكن ريكس قد قال الى أين سيأخذها، لهذا لم تعرف ماذا يجب ان ترتدي، برغم انه لم يكن لديها الكثير من الملابس لتختار. ونظرت الى خزانتها الخالية تقريبا. ولكنه يعلم ان ملابسها ليست آخر صرعة في عالم الازياء... فإذا هو لم يعتبر ذلك وهو يوجه إليها الدعوة، فستكون هذه مشكلته وليست مشكلتها. ولكنها مع ذلك، لم تستطع إلا ان تفكر في ما يمكن ان تبدو عليه في مطعم كالذي اعتاد ريكس الذهاب إليه. تناولت تنورة قطنية بيضاء واسعة تتناسب وطرفي كمي قميصها ويحيط بنهايتها شريط عريض من الدنتيلا البيضاء.

بادرها مايكل، الذي كان في الانتظار بقوله:«يريد السيد ريكس ان نذهب نحن إليه.» ومع ان لهجة مايكل كانت كالعادة في غاية الاقتضاب، فقد فتح لها الباب الخارجي بكل البشاشة التي اكتسبها من خدمته لآل تمبلتون على مدى جيلين كاملين من الرجال. وخيل إلى ساشا أنه في الأيام الأخيرة، اصبح أكثر لطفا معها.

قالت:«إلى أين نحن ذاهبان، يا مايكل؟ هل تراك نسيت شيئا؟» سألته وهي تميل الى الأمام بعد تركهما البيت إذ استدارت السيارة فجأة راجعة الى الوراء لتدخل من باب آخر يبعد حوالى ربع الميل على طول الطريق.

لما لم يجب، هزت ساشا كتفيها وعادت الى جلستها. لكن الطريق بدلا من ان يقودهما رجوعا الى البيت كما ظنت، إنحدر بهما بعيدا خلال الاشجار نحو النهر. كان واضحا لها انه سلك طريقا مختصرا نحو إحدى القرى.

كان المساء رائعاً بالشفق الوردي والنسائم العليلة.

وأغلقت ساشا عينيها تستمتع بدفء الشمس الآيلة الى المغيب. كانت تستمع الى خرير جدول، وهديل حمائم الغاب عندما وقفت السيارة فجأة، ففتحت عينيها لتقعا على خرائب منزل كان يوما منزلا صيفيا. ونظرت بتعجب الى مايكل الذي استدار يفتح لها الباب، وقال بصوت خال من التعبير:«إنها الأوامر يا ساشا.»

قالت بحيرة وهي تجذب الشال الحريري حول كتفيها وتنزل من السيارة:«ماذا؟» وزاد استغرابها أنه لم يناديها من قبل باسمها الأول. نظرت إليه ضاحكة وهي تقول:«لماذا هنا يا مايكل؟»

قال لها وهو يعود الى السيارة:«عمت مساءً.»

ولدهشتها الشديدة، انطلق بالسيارة وغاب عن ناظريها. لم تكن قد جاءت الى منطقة بعيدة مثل هذه من قبل. ورفعت نظرها تتأمل المبنى الأثري. كان مبنى سبق إصلاحه وربما قصد به ان يكون منزلا. وتذكرت انها سبق ان رأت رسما لهذا المنزل في حالة أفضل مما يبدو هنا وذلك في منزل الاستراحة.

عندما أوصلها فضولها الى الدوران، إلى الجانب الخارجي المهدم توقفت أمام ما ترى من خراب.

كان المنظر رائعا مثيرا. كان منبسطا أمام ناظريها سهولا من الخضرة والذهب حيث القمح الناضج يلتقي مع النباتات الأخرى الزمردية التي ترتفع على ضفة النهر الثانية. ولكن المنظر البادي أمام الاعمدة الأثرية كان هو الذي فتن لبها.

كان ثمة مائدة حديدية قائمة على شرفة فوق النهر الصامت، قد بسطت عليها مأدبة لشخصين. وكانت

أشعة الشمس على غطاء المائدة من الحرير، ترسل أشعتها الوردية على الثريا الفضية القائمة في وسط المائدة، لتبدو هذه وكأن اللهب يتصاعد منها. كان ريكس جالسا وقد امتدت ذراعه على ظهر أحد المقعدين الهلالي الشكل اللذين أحاطا بالمائدة وهو يبتسم لها بتكاسل.

قال:«سامحيني إذا لم أنهض واقفاً لاستقبالك.» كان مرتديا قميصاً ابيض فضفاضا طويل الكمين فوق سروال قاتم اللون.

ضحكت وقد شعرت فجأة بالتوتر، وقالت:«... عندما تدعو احدا الى العشاء فإنك تدعوه حقا الى العشاء...»

أشار الى مقعد عليه وسادتان قباله قائلا:«فكرت في ان ذلك يناسب ذوقك الذي يحب البساطة وعدم التكلف.» وسكب لها شرابا في كوبها.

دهشت وهي تفكر الى أي حد يتفهم شخصيتها حتى في هذا الوقت القصير، وتساءت كم تكلف مايكل من العناء لكي يعد كل هذا لأجل سيدة. ولكنها قالت:«إنك رجل بالغ المهارة.» فضلا عن ذلك، أليست هذه طريقته الفريدة لإقناعها بالبقاء؟

اعترفت ابتسامته بذلك وهو يقول:«وأنت امرأة رائعة الجمال الى درجة غير معقولة.»

احمر وجهها، وأحست بالإرتياح إذ صرف اهتمامهما عن هذا الموضوع صوت طائر القيق الذي كان يحلق أمامهما متألقا بلونيه الأزرق والخمري في أشعة الشمس المحمرة.

سألها:«هل أنت جائعة؟»

ضحكت لتخفف من توترها وهي تقول:«وماذا تفعل لو أنني قلت لا؟»
قال:«ولماذا لا تجربينني فتعرفي ذلك؟»
فكرت في أنها ليست حمقاء الى هذا الحد، بينما بعث تحديه هذا رجفة لذيذة في أوصالها. ضحكت قائلة:«لا تقلق فإنا أكاد أموت جوعاً الى حد يمكنني معه ان آكل حصانا.»
قال ضاحكاً:«إنني آسف إذ ان أمي لم توفر اياً منها.»
تظاهرت مازحة، بخيبة أمل بالغة وهو يرفع الغطاء عن أطباق الأرضي شوكي والسلمون ومختلف أنواع السلطات. وقالت:«إذا فإن عليّ ان أقبل بهذا الطعام.»
أقبلت على الطعام وقد زاد الهواء الطلق من شهيتها.
قال لها وهي ترفع كوبها الى فمها:«لا تشربي كثيرا.»
ضحكت وهي تقول متحدية:«لما؟»
قال:«لأنني اريدك رزينة هادئة.»
قالت:«ألا يجعل ذلك الأمر أكثر سهولة بالنسبة إليك إذ يحملني على التسليم بكل ما تريد؟»
هز كتفيه مسترعيا انتباهها بذلك، الى هذين الكتفين القويتين.
اطلقت ضحكة صغيرة متوترة وهي تقول:«لا تقلق، لقد سبق ان أدركت انه عندما تختلف أراؤنا، فإنني أحتاج الى كل إمكاناتي لكي أتمكن من مواجهتك.»
قال بابتسامة تهكم قاسية:«وبذلك يكون مركزك هو الاقوى.»
فكرت في مقدار عدم ذوقها وهي تؤذيه بمثل هذا

الكلام. وتاهت نظراتها بعيداً وهي توبخ نفسها بصمت. كانت الشمس قد اقتربت من المغيب، جاعلة المنظر فوق النهر يمور باللهب. وكان الحصادون لا يزالون يعملون في أحد الحقول البعيدة فيتصاعد ضجيج آلة الحصاد بينما القمح المحصود يصعد سحاباً من الغبار خلفه. كما كانت رائحتها تحملها الريح نحوهما، هذا الى رائحة اعشاب محروقة في الجو.
سألته وهي ترى أعمدة الدخان من بعيد:«لماذا يحرقون قش القمح؟» ورغبة منها في ان تصرف ذهنه عن آلامه، خفضت من صوتها وهي تتابع قولها بلهجة ماكرة:«ايفعلون هذا لكي يحرقوا ما يكمن فيه؟»
ابتسم وقد بدا مسترخياً في جلسته وهو يتناول الحلوى بملعقته مشاركا إياها تخيلاتها:«وأيضا لكي يقتلوا كل الحشرات والآفات الضارة التي قد تقضي على الموسم المقبل.»
قالت ضاحكة:«ها أنت ذا قد أفسدت الصورة. إنني أحب التخيلات.»
قال برزانة وهو ينير الشموع بينما كانت هي تراقب لهب الشمعتين يتراقص:«إذا دعينا نتخيل انك لست أميركية عليك ان تعودي الى وطنك بعد أسبوعين، وأنك مصممة على ترك منزلي.»
قالت وهي تلقي بملعقتها في صحن الحلوى متمنية القدرة على المقاومة. إنه لن يستطيع ان يجعلها تبقى في بيته. كلا، لا يمكن هذا. وقالت:«ريكس... أرجوك...»
قال:«ما الذي يجعلك مصممة في هذا الشكل؟»
ماذا يمكنها أن تقول؟ انها في أعماقها لا تريد ان تتألم؟

كيف يمكنها ان تقول ذلك؟ وشعرت برجفة جعلتها تأخذ الشال وتلفه على كتفيها.

قال ريكس وقد بدا الاهتمام على وجهه:«اتشعرين بالبرد؟»

قالت:«ليس تماماً.» كيف تخبره ان تلك الرجفة نشأت من شعورها بالخوف منه... من شعورها نحوه... وليس من هبوط درجة حرارة الجو؟ وأخذ الهواء الذي بدأ ينشط يحمل التبن المتخلف عن الحصاد لينثره على أرضية الشرفة.

هتفت:«أوه أنظر!» كان التبن يدور حول نفسه وكأنه في دوامة يتلاعب به التيار. وراقبته ساشا مفتونة وهو يرتفع ويرتفع الى ان توقف الهواء فجأة ليسقط التبن الذهبي على المائدة أمامهما.

شهقت بحيرة وهي تقول:«لم أر شيئاً كهذا من قبل.»

نظر إليها ريكس بابتسامته الجذابة وهو يقول:«كلا؟ ثمة شيء في هذا يذكرني بك.»

نظرت إليه بسرعة. هل هو يراها كهذا؟ قشة في مهب الريح؟ تطوح بها مشاعرها؟ وشعرت فجأة وكأن مشاعره هو تدمرها تدميرا.

عندما سمرتها نظرته القوية، شعرت بعواطفها تتفتح أمام مشاعره التي حفلت بها نظرته تلك من دون أي مقاومة، لتدرك سبب غضبه منها في البداية... وهو يراها... إمرأة شابة معافاة تستمتع بحياتها بينما هو لا يعلم إن كان سيتمكن من السير مرة اخرى.

هتفت في سرها.. أوه إنني أحبه! واهتزت إذ أدركت ذلك. مدت يدها بسرعة واضطراب تتناول كوبها، ولكن

ارتجاف يدها جعل الشراب ينسكب على غطاء المائدة. صرخت وهي تثب لينزلق الشال عن كتفيها ثم أخذت تمسح الغطاء المبلل بالمنشفة وقد أحمر وجهها أسفا:«لقد انسكب إلى جهتك...»

أمسكت اصابعه القوية بمعصمها وهو يقول:«دعي عنك هذا.» وسرت النار للمسته تلك في دمها.

قالت:«لا استطيع... إنني...»

قال:«قلت دعي عنك هذا.» واشتدت قبضته على معصمها بعدما حاولت جذب يدها. وباندفاعه نحوها فوق المائدة، انقلب كوبه على الصحن الصيني ليسمع صوت تحطمه وهو يجلسها على المقعد الى جانبه ثم يحيطها بذراعيه.

اخذت تصده عنها من دون وعي منها، وكانت مقاومتها تلك هي كل ما تستطيعه إزاء عجزها أمام مشاعرها نحوه. ولكن عواطفها كانت بمثل حرارة عواطفه، لتكف فجأة عن المقاومة.

همس وهو يشم عبير شعرها:«ساشا...»

لم تشعر بأنها تغدر بذكرى بن الآن... وفجأة هتف هو يدفعها عنه:«كلا.. هذا لا يصلح لي، ولا لك!» واعتدل في جلسته، ملقيا برأسه الى الخلف ناظرا الى السماء وقد أطبق فكيه بقوة وهو يجاهد لتمالك مشاعره. ويقول:«إنس كل ما حدث.»

هتفت وقد ألمها الإحباط:«ريكس... أرجوك.» وألقت بيدها من دون وعي منها، على ذراعه

لكنها أجفلت وهو يدفعها عنه قائلا:«أين هو عقلك؟» وأضاف بخشونة:«إذا كنت تريدين ان تحترقي، فلماذا

لا تضعين يدك على نار إحدى تلك الشموع؟ ربما كان الحريق أكثر إيلاما جسديا، ولكنك على الأقل لن تتألمي عاطفيا.»

اخذت تحدق الى لهب الشموع التي ازداد إشعاعها في ظلمة الليل وهي تشعر بالألم الذي أشار إليه بكلامه في أعماقها.

سألته بصوت مرتجف:«وما الذي جعلك تعتقد أنني متورطة معك عاطفيا؟» وتساءلت عما إذا كان يدفعها عنه بسبب لورين.

أجاب بشبه ابتسامة جافة، ساخراً من نفسه:«الغرور. كما أنني اعرف أهمية الإلتزام والوفاء بالعهد بالنسبة إلى إمرأة مثلك. وإلا لكان سهلا عليّ إغواؤك تلك الليلة في المكتبة. إذ ان رغبتي في ذلك الوقت كانت قوية الى حد الألم. فإذا كان الوفاء غير محتمل بالنسبة إليك، وإذا كنت تريدين عملية سريعة فاذهبي الى صديقك غايفن تشيز وأنا متأكد ان في استطاعته اعطاءك كل متطلباتك. إنك على الأقل معه لن تشعري بأنك مع نصف رجل.»

هتفت:«يجب ألا تتفوه بمثل هذا الكلام.» كان يأسه يمزق قلبها وكذلك إشارته الى رغبتها في عملية سريعة... مع أي رجل. وأدركت بألم أنه لا يزال مجروحا عاطفيا من رفضها الأول له بقدر ألمه من جروحه الجسدية. أجفلت وهو يتابع قوله:«كلا؟ ربما ظننتني صفقة رابحة، أليس كذلك؟» وأصابتها ضحكته المرة الخالية من السرور في الصميم وهو يتابع:«ربما تظنين في ربط حياتك بكرسي كهذا شيئا ممتعا... إذا كنت تظنين هذا إذا...»

اطلقت صرخة صغيرة وهو يجذبها إليه بغلاظة:«إذاً إبقي هنا! لا تعودي الى أميركا. إبقي هنا وتزوجي مني أيتها المتفائلة الصغيرة الحمقاء.»

كانت قبلته لها متوحشة وذراعاه متوحشتين ألمتاها ولكنها لم تبال. احاطت عنقه بذراعيها وهي تهمس:«أوه نعم نعم يا حبيبي. نعم سأتزوج منك.»

نظر الى وجهها وشعرها ووجنتيها المتوهجتين، ثم قال:«هل تعنين ذلك حقا أم ان ذلك من وحي جلستنا هذه؟»

قالت وقد شعرت بالخوف من ان يكون طلبه الزواج منها نتيجة شعور موقت:«وهل انت كذلك؟»

ولكن قبلته على جبينها ذهبت بقلقها وهو يقول بهدوء:«كان عليك ان تكوني على معرفة جيدة بي حتى الآن يا ساشا، وإنني لا أمزح في الاشياء المصيرية.»

فكرت في أنه كذلك حقا... في ان التصاميم الموقتة ليست من طباعه... حتى ولو كانت أكثر المسائل عاطفية في العالم. قالت باسمة:«ولا أنا افعل ذلك.» وكانت عيناها تشعان حباً وهي تهمس بذلك.

ولكنها أجفلت قليلا وهو يمسك بمعصمها بقوة قائلاً وقد بان الشك على ملامحه:«هل تدركين جيدا ما أنت بسبيله؟»

ابتسمت في وجهه في محاولة لتبديد مخاوفه:«إنني آكل لحم الخيل وأستمتع بأسطورة القمح.» فجأة بان عليها الجد وهي تقول:«على كل حال فإنك لن تبقى هكذا بقية حياتك يا ريكس.»

قال:«وافرضي أنني بقيت هكذا؟» كانت قبضته على

معصمها قاسية. وقد جعلت هذه الكلمات التي تفوه بها أسارير وجهه بالغة الجمود.

فكرت هي بألم في انه بطبيعة الحال، لم يحاول ان ينظر الى الأمور بتقبل ومرونة. وقالت:«لا شيء يمكن ان يغير من موقفي هذا ولا من شعوري نحوك.» فكرت بقلب عامر بالإخلاص ان لا شيء يمكن ان يهمها ما دام هو بحاجة إليها وهي بحاجة إليه.

ضحك قائلا:«يا حبيبتي الصغيرة الطبيعية. إنك تعرفين كيف تشعرين الرجل بأهميته، أليس كذلك؟» وسكت برهة يتأملها ثم قال:«هل تعارضين في خطبة قصيرة نعلنها للتو؟» وعندما لم تستطع الجواب من شدة سعادتها، عاد يقول:«إنني ببساطة اريد ان اجعلك زوجتي وملكي بأسرع وقت ممكن، وأن يعلم الناس جميعا بذلك.»

كانت المشاعر التي تضمنها قوله ذاك تزيد من اضطرام شعورها نحوه. انها تعلم ما ينتظرها من صعوبات. ولكنها تعلم ان ليس ثمة شيء لا يمكن التغلب عليه. ولم يكن الأمر مجرد حب أعمى بصرها، كما يحدث مع صغار السن، عن الصعوبات التي ترافق الزواج برجل معوق. وفجأة قالت:«وما الذي سنقوله للورين؟»

كانت تنظر إليه بقلق وشعرت بالخوف حين قال بخشونة:«لا اريد لورين.»

عندما رأى فزعها جذبها إليه بحنان، قال وقد لانت لهجته:«ما أجمل ان تهتمي بمشاعر الآخرين في وقت كهذا. ولكن، لا تقلقي... إنني لم أعطها قط أي إشارة إلا ان شعوري نحوها هو أكثر من مجرد شعور إبن العم لابنة عمه. في الحقيقة، لقد اظهرت لها في غير

مناسبة أن ليس لديّ أي شعور نحوها غير هذا، فهي ستجتاز هذا الأمر.»

ابتسم لها بمنتهى الرقة. كان هذا الجانب الحنون من شخصيته الذي يتعارض مع الجانب القوي، هو ما يفتنها به. قال وهو يقبل صدغها:«دعي هذا لي أنا. وأنا سأخبرها به بكل رقة. أعدك بذلك.»

في الصباح التالي، اتصلت ساشا بوالديها هاتفياً حتى قبل ان ترتدي ثيابها لتخبرهما بخطبتها المقبلة من ريكس. ومع أنها توقعت منهما التحفظ والإعتراض حين اخبرتهما ان زوجها المقبل هو معوق إلا انها سرعان ما شعرت بالسرور حين أبديا الإحترام لرأيها، كعادتهما حين تصمم نهائيا على أمر ما، وتمنيا لها كل السعادة.

هتف والدها بصوت مفعم بالعاطفة:«حسناً إذا كان يحبك حقا.»

اجابته بسعادة وقد تألق وجهها:«طبعاً.» وشعرت بالسرور إذ كانت تتكلم من غرفتها حيث لا يرى أحد مقدار البهجة والإثارة اللتين تتجليان في صوتها ومظهرها واللتين كانت هي نفسها مفعمة بهما هذا الصباح.

إنها لا تذكر ان ريكس قال لها حرفياً انه يحبها، ولكنها ادركت ذلك من الطريقة التي حدثها بها وتصرف بها معها... ان مجرد رغبته في الزواج منها أذنتها بشعوره نحوها. ثم انه من طلبه المفاجيء الزواج منها، عرفت انه كان يائساً من إبقائها بمقدار يأسها هي. وعادت تقول:«شكرا يا أبي.» وأقفلت السماعة، ثم جلست

لتسكب سعادتها في رسالة الى صديقتها جولييت. وعندما وصلت الى الردهة، متألقة في قميصها الأبيض وتنورتها البرتقالية، توقفت وقد سمعت حركة في غرفة المكتبة.

هتفت:«ريكس؟» لم تكن قد رأته هذا الصباح. لم تره منذ أعادها الى غرفتها مرغما الليلة الماضية، بعدما اعادهما مايكل. وتوجهت نحو غرفة المكتبة وقد ازداد خفقان قلبها لتقف مصعوقة عند العتبة.

لم يكن ريكس هناك بل لورين واقفة تنظر الى حاجز المدفأة. وعندما استدارت إليها وقد ظهر الحقد جليا على وجهها ادركت انها كانت تبكي.

قالت:«إنني أسفة يا لورين.» كان هذا كل ما استطاعت ان تفكر في قوله.

كان لهذه الكلمات التي لا جدوى من ورائها، التأثير عديم الجدوى ذاته في لورين وهي تجيب:«أسفة وعلام تأسفين؟ لقد ظفرت بما تريدين، أليس كذلك؟» وأطلقت ضحكة قصيرة جافة محاولة بذلك الظهور بمظهر الرصانة وهي تسألها:«لنتكلم، بيننا الآن فقط نحن الاثنين يا ساشا، هل هو إغراء المال؟ أم حقيقة انك أردت رجلا قد لا يتمكن من السير على قدميه بقية حياته؟»

دخلت فراشة من النافذة، لتتخبط على الزجاج من دون هدى... كانت جميلة قد وقعت في الشرك مثل لورين تماما التي تملكتها فكرة الإستحواذ على ابن عمها، ولم تتمالك ساشا من تشبيهها بتلك الفراشة. وبمزيج من التأثر والغيظ معا، لما قالته عن ريكس أكثر مما قالته

عنها هي، قالت بضيق:«إنني لا اريد ان أبدو قاسية جافة...» وسكتت هنيهة لتعود فتقول برفق:«... يجب ان تدركي ذلك يا لورين.»

بدا الألم في عيني الفتاة وبان لساشا وكأنها على وشك الإنهيار... عندما وثب الهر فجأة على النافذة في أثر الفراشة. ورغبة منها في انقاذ الفراشة، اسرعت تقبض على الهر تبعده عنها لتكافأ بخدش من مخلبه وهو يقفز من بين يديها الى أرض الغرفة.

قالت لورين:«لا بأس، وهكذا انتصرت.» شعرت بغيرة لورين وهي تنظر الى البقعة الحمراء على يدها متابعة قولها:«ولكنك تعرفين ريكس كما اعرفه أنا. إنه قاس وعديم الرحمة. وإذا ظننت انك استطعت المجيء الى هنا وسلبه مني، فإنني اتمنى ان تذوقي الى أي حد يمكن ان تكون وحشيته. وخير الأمور عاجلها.»

عندما خرجت كانت تشهق، حتى كادت تصطدم بعمتها.

قالت شيلا بأسى وهي تدخل غرفة المكتبة:«إنني أسفة لأجل لورين... فهي كانت تعتبر ريكس بطلها منذ حداثتها. ولكنه بطبيعة الحال، لم يظهر لها أكثر من شعور الأخ الأكبر ورعايته. وعندما حدث له ذلك الحادث...» انخفض صوتها الرقيق وهي تتابع:«... ولم يعد يستطيع السير... أظنها شعرت أنه فجأة، قد أصبح أسهل منالا بالنسبة إليها على نحو ما...» تقدمت وقبلت ساشا على خدها وهي تتابع قائلة بلطف:«على كل حال فأنا سعيدة جدا بك يا عزيزتي.» ولكن التقطيب البسيط بين عينيها ذاته الذي بدا في الليلة الماضية عندما أخبرها ريكس

بالأمر. ولكن ساشا كانت هذا النهار اكثر سعادة من ان تهتم بأشياء تضايقها. وشكرتها باسمة وهي تتقدم فتفتح النافذة لكي تسمح للفراشة بالخروج الى نسيم الصباح.

الفصل الثامن

شعرت ساشا، في الأيام القليلة التي مضت، انها في سعادة واكتمال لم تشعر بمثلهما من قبل حتى مع بن. سرها ايضا انها الآن في إمكانها ان تفكر في خطبتها الماضية من دون أي شعور بالذنب او الألم كما كان يحدث لها من قبل. كان ريكس وحده، بكل ذلك الهدوء والرجولة والمنطق والتفهم التي يتحلى بها، هو الذي أنقذها من ذلك، وعلمها ان تضع الأمور في نصابها. كانت تفكر في ذلك وهي تحدق الى الخاتم الثمين الذي يتألق في اصبع يدها اليسرى.

كان الخاتم الذي اختارته بسيطاً مصنوعاً من الذهب والياقوت الأزرق، إذ ان هذا اللون، كما قالت لريكس عندما شاهدته في واجهة الصائغ، قد ذكرها بحقول القمح الذهبية وسماء الصيف الزرقاء عندما عرض عليها الزواج.

ضحك وهو يلبسها إياه في المحل وهو يقول: «الفنان فقط هو الذي يقول مثل هذا الكلام.» كان الخاتم مناسبا تماما لإصبعها وكأنه كان في انتظارها.

شهقت وهي ترى الثمن الموضوع على القطيفة التي تبطن العلبة لتقول: «ولكنه غالي الثمن جدا.»

قال بعفوية وهو يضحك: «إنه مجرد حبة فستق.» وذكرتها هذه الملاحظة البسيطة بأن هذا الخاتم الثمين لا يعدو ان يكون بهذه التفاهة بالنسبة الى ثرائه.

تابع قائلاً:«إنه ليس كثيراً عليك.» وكان صوته، وهو يقول ذلك، يتضمن من العاطفة المضطرمة ما تمنت هي معه لو ان الصائغ يختفي أمامهما، ولم تكد تسمع ريكس وهو يقول له:«إننا سنشتريه.»

كان هذا المحل هو أول ما دخلا. وبدا ريكس مزهواً وهو يتبعها على العكازين.

قال لها محذراً وقد ظهرت عليه البهجة:«لقد أصبحت الآن ملكي... فلا تنسي هذا.» وجذبها إليه يقبلها من دون اهتمام مايكل الذي كان يصعد الى مكانه وراء المقود. وعندما أدرك خجلها من السائق، تركها من بين ذراعيه. والتفت السائق ليقول من فوق كتفه:«ايمكنني ان أكون أول المهنئين يا سيدي؟»

ماذا عن السيدة؟ فكرت ساشا في ذلك، قد يراها مايكل قطعة من مقتنيات الأسرة اشتراها سيده حديثاً، هذا مع أنه عاد فأومأ ناحيتها ببشاشة قبل ان يستدير باسما.

كان ذلك منذ يومين، والآن، وهي تنظر خلف السلالم نحو الطريق المؤدي الى غرفة الخدم، محاذرة ان تلتقي بأي قادم مبكر الى الحفلة الرسمية التي أقيمت في المنزل، كانت لا تزال غير مصدقة السرعة التي تمت بها الأمور.

«ادخلي.» جاءها الصوت العميق يجيب على قرعها للباب، وقد بعث الرجفة في اوصالها. ونظرت إليه مستلقياً على سريره بقميصه الأبيض وبذلته المسائية القاتمة اللون، لتشعر بالضعف يدب في ركبتيها. وتمتمت:«هل انت مستعد؟»

قال:«ليس تماماً.» نظر إليها وقد اهتز صوته لجمال مظهرها. وتنقلت نظراته من شعرها الذي صفف في شكل تموجات متناسبة تماما وقميصها الأبيض الرقيق وتنورتها الواسعة، الى عينيها الكحيلتي الأهداب. ثم قال برقة:«تعالي الى هنا.»

اقتربت منه بساقين مرتعشتين. إنهما لم يجتمعا إلا قليلا منذ تلك الامسية التي عرض عليها فيها الزواج. والآن، ها هي ذي تشعر بخفقان قلبها يتسارع وهو يجذبها من يدها ليجلسها الى جانبه على السرير.

قال:«ينبغي ألا تظهري أمام الناس في هذا الشكل. وخصوصاً صديقك غايفن تشيز. لماذا دعوته؟»

قالت ضاحكة:«لأنه صديقي. هل تغار منه؟» وانتابها السرور بفكرة أنه يغار عليها.

ضحك من دون ان ينفي ذلك او يؤكده، وأخذها بين ذراعيه محاولا تقبيلها ولكنها أخذت تقاومه محاولة الابتعاد عنه وهي تقول:«كلا يا ريكس... شعري، زينة وجهي. ماذا يقول الآخرون إذا أنا عدت إليهم وكأنني خرجت توا من...»

قاطعها:«من مخدعي...» وابتسم وهو يتركها قائلاً:«هذا أحسن. دعيهم يعرفون مقدار حبي لك. هيا، سوّي من مظهرك واذهبي الى الضيوف قبل ان يصمم عريس المستقبل على ألا يدع عروس المستقبل تحضر حفلة خطبتها بعد كل هذا.»

دخلت الى الحمام وهي تشعر بارتجاف في أوصالها، وقد ضايقها ان تشعر بأنها ستستجيب له حتما من دون مقاومة فيما لو طلب منها البقاء وعدم حضور الحفلة.

عادت بذكرياتها الى الماضي. انها لا تذكر مطلقاً انها كانت تخلت مرة عن مسؤولياتها عندما اعتادت ان تكون مع بن... مثل ان تتخلى عن ضيوفها كما لو طلب ريكس منها ذلك. صحيح انها، وبن، كانت لهما لحظاتهما الهادئة، ولكنها كانت هي دوما مسيطرة على الأمور، وهي التي تقرر الحد الذي يجب ان يتوقفا عنده، وذلك حسب وقتها ومزاجها.

عندما ذهبا معا الى القاعة لتحية أوائل الضيوف الذين ابتدأوا بالتوافد.

شعرت ببعض الأنظار تحدق إليها، منهم أحد مديري الشركة، وشيلا، وطبعا غايفن الذي اغتنم فرصة وجدها فيها تقف وحدها الى جانب الورود التي نسقتها شيلا، ليقول لها:«أرى ان لورين فارداي تريد ان تظهر للعالم أنها غير مهتمة. من هو صديقها الجديد؟ أهو شاب اختارته اسكندينافيا بوجه خاص؟»

كان يعني ان لورين اختارت مرافقاً يمثل الجمال الأشقر، كما ان ريكس كان أسمر، وتقريبا كان بدرجة ريكس من الجمال، كما رأت ساشا وهي تنظر ناحيتهما، عدا ان رجل لورين كان أضخم حجماً مما يدل على ان جمال شكله غير دائم، ثم ان عضلاته لا يقارن بما يتصف به ريكس من ذلك.

تمتمت ساشا:«إنني سعيدة بمجيئها.» ونظرت الى كوبها إذ أنه يتوجب عليها قسرا، ان تناوله الى لورين فيما لو لم يفعل ريكس ذلك، إذ ان عليها ان تفعل ذلك بصفتها تمثل الآن كرامة ال تمبلتون، فهي مجبرة، تحت ضغط الأسرة، على ان تبدو بمظهر شجاع.

أخذ غايفن يدندن أغنية فرانك سيناترا الرقيقة (إنها ليست الوحيدة التي تحسن التظاهر.)

ضاعت الكلمات بين الضحكات والأحاديث التي كانت تتجاوب في أنحاء القاعة الأثرية.

قالت له ساشا متحدية وقد قطبت جبينها:«ماذا تعني؟»

كان يبدو وسيما ببذلته القاتمة التي تظهر بياض بشرته وتبرز ملامحه. كان مثالا للشاب الطموح، الماهر، المقدام.

أجاب:«كنت أظن انك لا تريدين ان تتورطي مع أي رجل. لقد اخبرتني انك بحاجة الى وقت لذلك... والسبب هو شيء حدث من قبل.»

لكنها لم تخبره بتاتا عن بن، فهي لم تشعر بغايفن قريبا من نفسها الى هذا الحد لكي تشركه في أعمق مشاعرها. ليس بالطريقة التي شاركت بها ريكس، ريكس الذي أرادت ان تشاركه كل شيء. ليس فقط العواطف والأحاسيس، وإنما روحها... حياتها كلها.

تنهدت بعمق وهي تقول:«هذا أمر مختلف.» وأرادت ان تشرح لغايفن مبلغ شعورها نحو خطيبها. ولكنه أجاب بحدة:«بصراحة يا ساشا، اريد ان أقول لك شيئا. انني اعرف النساء لا يستطعن مقاومة تأثيره، ولكن، هل فكرت حقا في ما تفعلينه؟ أعني... إمرأة مثلك مليئة بالحيوية والمرح...»

«يجب ألا تحكم على الاشياء بمثل هذا الخطأ الفظيع.» استدار الاثنان ليواجها ريكس بابتسامته الجليدية، وكان وجهه قاتما خاليا من أي تعبير.

وقف غايفن صامتا، وأدركت ساشا ان صمته هذا

ما هو إلا تاكيد لشعوره بالحرج. وقالت:«ريكس...»
لكنه تجاهلها وهو يتابع بهدوء وبرود تام:«لماذا لا تلقي نظرة على مكتبتي في اثناء وجودك هنا يا تشيز؟ انها تعطيك خبرة في إدارة الأعمال التي لا يماثلها شيء. لا أعني انك بحاجة الى تعليمات عن كيفية استغلال نقاط ضعف معارضيك، وإنما الى شيء من اللباقة تنفعك.»
قال غايفن متلعثما:«حسن، إن كل...!» وبدا عليه الذهول وريكس يستدير بكرسيه مبتعدا عنهما. كان حقا عقابا مناسبا له.
قال يخاطب ساشا:«إنه ماكر وساخر. أليس كذلك؟ لم أكن أدرك انه خلفي...»
قالت ساشا تعنفه بهدوء وقد تألمت لأجل ريكس:«إذا، كان يجب ان تكون أكثر حرصا في حديثك. وأطمئنك يا غايفن الى انني فكرت جيدا في ما أفعله.»
بدا عليه الخجل وهو يقول:«إنني آسف. ولا يعني ذلك أنني لست مسرورا لأجلك، ذلك أنني فعلا كذلك. وإنما انا ما زلت مصعوقا للسرعة التي استطعت فيها اصطياد سيد المقاطعة...»
إذا فقد كان مصعوقا عندما لم يستطع الكلام حين دعته الى الحفلة هاتفيا ذلك النهار. وتابع هو:«ولكنني لم أقل ما يشير الى ذلك. تقبلي تهاني يا ساشا وأرجو لكما كل السعادة. ولكن، بالتاكيد سيكون الأمر صدمة لروزاليند بيكينغتون عندما تكتشف الأمر.»
شعرت ساشا بلهب يحرق وجنتيها وهي تنظر إليه عابسة وتقول:«روزاليندا...؟»
قال:«أووه... آسف. أظن ان من قلة الذوق ان أذكر

المرأة السابقة في حفلة خطبة، ولكنني سبق ان حدثتك عنها. هذه قسوة...» وانتبه لنفسه وهو يتحدث عن المرأة الأخرى، وتابع:«لقد سافرت الى الخارج بعد حادث الاصطدام، وهي عائدة حتما الآن الى البلاد وستختلط عندها المشاعر حين تسمع أنه ليس فقط عاش من دونها ولكنه أعلن خطبته كذلك.»
فاجأهما صوت يقول:«في الحقيقة، ليس ثمة اجمل من هذه العودة الى الوطن بالنسبة إليها. أليس كذلك؟»
توترت أعصاب ساشا عندما ظهرت لورين الى جانبهما فجأة. وبدت جميلة كالعادة في ثوبها الأسود وشعرها الأشقر القصير. ولم تظهر ابتسامتها المضيئة أي مشاعر عدائية نحو ساشا. هزت لورين كتفيها وهي تتابع قولها:«بعد الطريقة التي عاملت بها ريكس، تصرف ابن عمي كعادته في توقيت أعماله بالضبط. وذلك بإعلان خطبته في حوالى الوقت الذي عادت به الى سافولك منذ اسبوع.»
جاهدت ساشا لكي تتمالك نفسها وتظهر عدم المبالاة. ما الذي كانت لورين تقصده بقولها هذا؟ ان ريكس قد تعمد إعلان الخطبة هذه لكي ينتقم من...؟
اغتصبت ابتسامة لتبتعد بعد ان استأذنت منهما، بحجة وجوب اختلاطها بسائر الضيوف، وقد اشتدت اصابعها على كوبها. ماذا لو كانت روزاليندا هذه قد عادت؟ ليس من الضروري ان يكون ريكس قد علم بذلك، حتى ولو كان قد علم، فما الذي تتصوره؟ لقد طلب منها الزواج فقط لأجل أن...
توقفت عن تلك الخواطر التي شغلتها. لقد كانت حمقاء

إذ سمحت لملاحظة فظة من لورين، التي كان جلياً أنها ما زالت تشعر بالغيرة منها، بأن تذهب باستقرارها النفسي.

صحيح ان عرض الزواج من ريكس كان مفاجئاً وغير متوقع، ولكنها كانت ستسافر الى بلادها في الأسبوع التالي وهو ما جعله يسرع في تنفيذ قراره. إنه يحب ساشا بالطبع! وإن لم يكن قد تحدث عن ذلك بصراحة. فماذا يهم إذا لو ان صديقته السابقة قد عادت الى البلاد؟ ربما كان عليها ان تعود لفترة ما، لتصادف عودتها تلك في الوقت الذي عرض فيه ريكس الزواج عليها.

إذا هي احتاجت الى تأكيد لذلك فقد حصلت عليه منذ أكثر من عشرة أيام، إذ كان ريكس بالغ الاهتمام بها، وكانت الأزهار تصل إليها بالعشرات. إذا مر نهار من دون ان يراها فيه. أزهار الاوركيديا... ومرة حين كان عليه ان يلغي موعد غدائهما، أرسل إليها ورودا حمراء.

قالت تغيظه عندما عاد في ذلك المساء ذاته:«حذار. فإن للأزهار لغة خاصة.»

كانت تريده ان يخبرها أنه يحبها... وتابعت:«كيف لك ان تعلم أنني لن أسيء تفسير معناها؟»

اجاب باختصار وهو يشير الى الأزهار التي كانت قد وضعتها في اصيص في قاعة الجلوس:«وماذا يعني هذا؟ هل يكلفني كثيرا من النقود؟»

هكذا كان عليها ان تشيح بنظرها لكي تخفي خيبتها وهي لا ترى في عينيه سوى الإغاظة الضاحكة. كما أنه

لم يخبرها بسبب إلغائه موعدهما للغداء ذاك، لقد أدركت ذلك ولكنها لن تسأله عن ذلك مطلقا. انها تعرف ان ذلك جنون، فهو خطيبها. ولكنها، في الأيام الأخيرة، شعرت به يطيل التفكير مما جعلها، على الرغم من اهتمامه بإرضائها، تشعر بأنها بعيدة عنه وكأنهما غريبان.

جاء صوته صارما:«ماذاحدث؟»

اجفلت واهتزت لقوة ملاحظته المفزعة. وكانت في تلك الاثناء تتظاهر بوضع بعض النباتات الخضراء في الأصيص مع ورودها الحمراء. قالت كاذبة من دون ان تنظر إليه:«لا شيء.»

قال:«إذا، دعي هذه النباتات وتعالي اجلسي هنا.» ومد يده يقرب إليه مقعدا صغيرا لتجلس عليه. أطاعته هي شبه متباطئة. وسألها بفضول:«هل اعتاد بن ان يرسل إليك زهورا؟»

اجابت وقد لاحظت بحيرة قوة المشاعر البادية على ملامحه الوسيمة:«كلا.» ما الذي كان يتصوره؟ هل ذكرتها وروده بالورود التي كان يرسلها إليها خطيبها الذي فقدته مما جعلها تشعر بالأسى؟

«هل تريننني عنيفا معك؟ هل هذه هي المشكلة؟»

يا حيرتي... ما الذي في استطاعتها قوله؟ أخبرني فقط انك تحبني. اريد ان يطمئن قلبي. اريد ان اعرف بالضبط شعورك نحوي. لكنها لم تستطع ان تقول ذلك. أغمضت عينيها لتخفي شوقها لأنه كان منحنيا ملاصقا لوجهها. وكان كل ما استطاعت فعله هو ان هزت رأسها نفيا.

قال:«هل استياؤك هو من أجل إلغاء موعد الغداء؟

ولأنني لم أشرح لك الحقيقة؟» فكرت في ان ذلك هو فقط جزء من السبب. وعاد يقول:«حسن، إنني آسف يا ساشا...» وخفق قلبها عندما جذبها فجأة إليه وقد وضع ذراعيه حولها وهو يتابع:«حتى الزوج وزوجته ليس في إمكانهما ان يخططا لكل دقائق الوقت الذي يمضيانه بعيدا عن بعضهما البعض. وهكذا عليك ان تقبلي بهذا الوضع، خصوصا بالنسبة الى عمل كعملي. فهذا نوع من الأمور التي ستحدث معنا من وقت الى آخر.»

لم يشأ ان يفيض في الموضوع أكثر من ذلك. حتى أنها فجأة، لم تشأ ذلك هي ايضا لأنه استعمل افضل سلاح ليطمئنها وهو أنه قبلها.

خوفا من ان يفاجئهما أحد وهما على هذه الحال، شيلا او مايكل مثلا، او أحد الخدم، رفع ذراعيه عنها ليضع يديه على كتفيها قائلا وهو يقبل شعرها:«ليس الآن وليس في هذا المكان يا ساشا. عندما يحين الوقت المناسب. عند ذلك لن يكون لدي أي شك في وفائي. والآن، أخبريني ماذا فعلت اليوم في الوقت الذي كان علينا ان نلتقي فيه؟»

تمتمت قائلة:«ذهبت الى السباحة.» وشعرت بتشنج مفاجيء في جسمه وهو يسألها:«ماذا؟ وحدك؟»

قالت:«نعم.»

قال:«ليس مع غايفن؟» وغرز أصابعه، التي كانت تعبث بشعرها برقة، غرزها في شعرها بشدة ألمتها وهو يشده الى الخلف.

أنت متألمة:«ريكس...» رفعت نظرها الى ملامحه الداكنة المتوترة، وتجهمت ملامحها شاعرة بالتعب ثم اعتدلت

في جلستها عندما تركها فجأة بعدما ظهر الألم على وجهها، وهي تقول:«إنني طبعا لم أذهب مع غايفن، فأنا مخطوبة لك.» سكتت وهي تفكر، كيف يمكن ان يخطر له هذا.

قال:«ولكن هذا لم يمنعك من ان تلعبي معه كرة الطاولة ذلك النهار.»

قالت:«كان ذلك شيئاً مختلفاً.»

قال:«احقا؟»

قالت:«نعم. لقد أخبرتك بذلك.» واستدارت تقابل نظراته المتشككة وهي تستطرد:«لقد كان يلعب مع الآخرين وكان وأخته يشكلان فريقا. ولأن شقيقته شعرت بالتوعك، لم يشأ ان تفسد اللعبة فطلب مني ان أنضم إليهم بدلا منها.»

قال:«وبما انك خلقت لمساعدة المحتاجين، فقد ذهبت حالا.»

قالت متحدية:«نعم. ألم تكن انت لتتصرف هكذا لو كنت مكاني؟» وشعرت بالإستياء من مظهره ذاك الذي لا سبب له ولم تدرك ما قالت إلا بعدما رأت على شفتيه تهكما قاسيا فسارعت تقول:«إنني آسفة... لقد قصدت... أوه، انك تعرف ما الذي قصدته!»

قال بخشونة وقد بانت الكآبة في عينيه:«انسي هذا.» واستدار بكرسيه مبتعدا تاركا إياها تنظر في أثره الى كتفيه العريضتين.

في الصباح التالي، كان قد خرج قبل نهوضها من فراشها. وكانت هي مسرورة لأنهما، على الأقل، قد تدبرا تسوية الأمور نهائيا بينهما في الليلة السابقة.

لقد اعتذر ريكس، عن كثرة فترات غيابه، حتى أنه قدم إليها بعض الاقتراحات حول الصورة النهائية التي كانت تصممها للعبة القمح التي تصنعها. كان تقديره لعملها الذي وضعته في الكتاب الصغير برفقة حديثهما المترتب على ذلك واهتمامه بمستقبلها، قد ساعد على إعادة الأمور الى نصابها. وفي النهاية، أخذها الى غرفة المكتبة حيث جلسا معا جلسة هادئة، ثم قبلها قبل ان يدعها تذهب الى فراشها، وهذا الصباح، قابلتها شيلا اثناء نزولها السلم، لتخبرها ان ثمة اتصالا هاتفيا من ديبورا على خط ريكس الخاص.

عندما رفعت ساشا السماعة، سمعت صوت ديبورا تقول:«إن ريكس يحضر اجتماعا. لقد ذهب قبل مجيء البريد وأنا أعلم انه يتوقع رسالة مهمة في داخلها شيك. وهذه قد تكون قد أرسلت الى المنزل من طريق الخطأ بدلا من ان ترسل الى المكتب هنا. فهل تتكرمين بفتح ما عندك من الرسائل ثم اعطائي خبرا عن ذلك؟»

سألتها ساشا ضاحكة:«حتى الرسائل المكتوب عليها خاص وسري؟» ولم تجد ساشا الرسالة التي سألت ديبورا عنها. وكان ثمة رسالتان بتلك الصفة، واحدة من مكتب الضرائب، استطاعت ان تعرفها حتى قبل ان تفتحها، أما الثانية فقد كتبت بخط منحدر على استعجال.

قالت ديبورا وهي تضحك:«إنها حقوق السكرتيرة.»

تناولت ساشا الرسالة مرة أخرى لتفتحها. فكرت وهي ترتجف بعدما قرأت محتويات الرسالة، ولكنها ليست حقوق الخطيبة...

كانت رسالة شخصية للغاية، تتوسل الى ريكس ان يرد على الرسائل الهاتفية التي سبق ان أرسلت من دون جواب، وتتوسل إليه ليتصل بها لإشعار قصير بالتسلم. وكان الامضاء، ببساطة، روزاليند.»

اجبرت ساشا نفسها على الخروج عن صمتها الذاهل، لتقول:«هذا كل شيء.» من دون ان تتمكن من ان تقول لها، ان حبيبة ريكس السابقة تكتب إليه مرة أخرى. وفكرت في انه قد لا يريد ان تعرف ديبورا بذلك.. كانت متأكدة من هذا. وشعرت ان عملها هذا كان تجسسا منها عليه، وتساءلت عما ستكون ردة فعله إزاء فتحها للرسالة. ربما لم تكن ديبورا لتفتح رسالة مكتوبة بخط اليد. وساورها شعور بالذنب إذ فكرت في أنها يجب ان تكون قد وضعت ذلك باعتبارها هي نفسها. ولكن ريكس لن يهتم لذلك بالتأكيد إذا كان لم يعد يهتم بتلك المرأة. ولكن، إذا كان مازال يهتم بها...

عندما أقفلت ديبورا سماعة الهاتف، ابتدأ عذاب الشك يشغل ذهنها. ربما هذا ما كان يرجو حدوثه؟ لعل لورين كانت على حق في أنه لما علم بعودة حبيبته السابقة، أسرع بإعلان الخطبة انتقاما منها...

تساءلت وهي تستجمع شتات نفسها، عما إذا كانت ستجن. ان ريكس يحبها! وإلا، لماذا طلب منها الزواج؟ ان الناس الاذكياء لا يتعهدون بشيء لا ينوون الوفاء به. وريكس كان أذكى رجل عرفته.

مع هذا، لم تشأ ان تدعه يعلم بما وجدت في بريده هذا الصباح، وعندما أعادت الرسالة الى المغلف أدركت يائسة انها لا تستطيع ان تغلق المغلف ذاك في شكل لا

يشعر ريكس معه بأن الرسالة قد فتحت. ولكنها كانت قد فتحت المغلف من أعلاه، لذا لم يكن في المستطاع اغلاقه ثانية. حتى أنها فكرت في ان تطبع مغلفا آخر، ثم تعيده إليه بواسطة البريد. ولكنها فكرت في ان ذلك سيبدو شاذا حيث ان الرسالة ذاتها كانت بخط اليد. الى جانب أنها لا تريد أن تتصرف في هذا الشكل من المخادعة. إذا فإن الأكثر تعقلا هو ان تجابهه بالأمر بصراحة. ولكن شيئا ما منعها من ان تفعل ذلك. وأخيرا، قررت ببساطة، ان تتركها على المكتب، ثم تدع له هو ان يبدأ بمفاتحتها بالأمر اولا حيث لا بد ان يفكر في ذلك بعد ان يراها مفتوحة.

هكذا، عندما خرج الى الشرفة ذالك المساء حيث كانت جالسة ترسم، شعرت بتوتر في أعصابها، إذ كانت تعلم أنه قد أنهى لتوه، الإطلاع على بريده اليومي.

«هذا جميل.» قال ذلك وهو ينظر الى الدفتر الموضوع على ركبتيها والشكل الملون الصغير لـ دمية القمح التي كانت تضع في شعرها حلية حمراء متألقة. وتابع يقول:«انها ستخطف قلوب الأطفال جميعا، من هنا الى القطب الجنوبي.»

فكرت قائلة، كما خطفت انت قلبي... كانت مسلوبة اللب، كالعادة بجاذبيته وهو يمعن النظر في عملها، وتأملت أهدابه المسبلة وبشرته الدافئة وتلك الابتسامة الكسول.

قالت ضاحكة:«أتظن أنها ستجلب لي ثروة؟» كانت تشعر بالإضطراب أثناء ضحكها وهي تنتظر منه أن يقول شيئا على تلك الرسالة. ولكنه لم يقل شيئا.

تساءلت عما إذا كان هذا يعني أنه لم يقرأ الرسالة بعد، ولكنها ارتابت في ذلك. وحاولت ان تخفي عدم ارتياحها خلف ابتسامتها وهو يأخذ يدها ليطبع عليها قبلة شاردة وهو يقول:«إذا لم يكف هذا فهم يريدونني ان أجيب...» ثم قال بلهجة عادية:«أرجو المعذرة يا عزيزتي. إذ ان عليّ ان أقوم بعدة اتصالات هاتفية في الداخل. استمتعي بالرسم وببقية هذه الأمسية الجميلة.»

بدا عليه، على غير عادة، الاسترخاء والرضى عن النفس وهو يتأمل الورود وراء الشرفة ثم تابع قائلا:«سأذهب لأبدأ بذلك، وسأراك عند العشاء.»

فكرت ساشا وهي تضع فرشاتها جانباً بعد ما فارقها الإلهام مع ذهابه.. إذا، هذا ما كان... لقد قرأ الرسالة حتما. وربما هو ينتظر فرصة أفضل لينفذها، وفي هذه الحالة، لن يكون ذلك أثناء العشاء، كما فكرت في ما بعد، إذ أن شيلا جاءت لتناول العشاء معهم لتسأله النصيحة في ما يتعلق بحصان للسباق.

بينما جلس ريكس غافلا عما تشعر به من توتر، كانت ساشا تنظر إليه وقد إنهكها تمالك أعصابها. ثم بعد ذلك بقي يتحدث هاتفيا مع زبون ذي أهمية قرابة ساعة كاملة. وذلك بعدما اتصلت بها أمها كما تفعل أحيانا للإطمئنان الى ان ابنتها سعيدة وبحالة طيبة.. ثم استغرق ريكس في أعماله المكتبية، بعد ذلك لم تسنح لهما فرصة يرتاحان فيها معا مرة أخرى.

استيقظت مبكرة في الصباح التالي، وقد صممت على ان تراه قبل ان يخرج حيث أنه كان قد أخبرها أنه سيمضي في مكتب لندن معظم أيام الاسبوع.

في الواقع، لم تكن قد نامت جيداً. وقد صممت على ان تخرج لتتمشى قليلا حالما يبزغ الفجر. وهكذا كانت قد عادت من جولتها عندما انضمت الى ريكس على مائدة الإفطار في غرفة الطعام. بدت متألقة متوردة الوجنتين حين رأته، وقد لطخت بقع الوحل حذاءها نتيجة توغلها في الغابة.

قال ببطء، وهو يضع صحيفته الى جانبه ويسحبها من ذراعها يجلسها الى جانبه:«إنك اكثر المخلوقات التي رأيتها إشراقا وحيوية.» ثم تابع وقد ابتدأت تخلع السترة:«كلا دعيها، فإنك ستشعرين بالبرد بعد فترة.»

أطاعته فهي لا تعلم انه ذو خبرة، لقد أخبرها مرة أنه كان معتاداً التمشي في الغابات بانتظام كل مساء قبل ان يحدث له ذلك الحادث؟ كانت تلك التغطية بين حاجبيه تناقض ما أظهره من سرور برؤيتها، وكأنما كان يفكر في أمر ما، وتساءلت وهي تجرض بريقها، أهي تلك الرسالة؟

جازفت بالسؤال وهي تسكب لنفسها عصير البرتقال، متظاهرة بعدم المبالاة:«هل اطلعت على البريد هذا الصباح؟»

قال:«نعم، شكراً.» قالها بذهن غائب تقريباً. مما جعلها تلقي عليه نظرة سريعة. ولكنه لم يكن ينظر إليها، بل كان يحدق الى عبارة على صحيفته المطوية وهو يمسح الزبدة على الخبز بهدوء.

قالت بصوت مضطرب بعدما روت عطشها بجرعة كبيرة من العصير:«يجب ان ابدأ بالتفكير في رحلة الى الوطن.»

لم تكن تريد ان تتحدث عن ذلك، وإنما أرادت ان تسأله عن تلك الرسالة، لا بد ان يكون قد قرأها الآن. وإذا كان ذلك قد حدث فلماذا لم يقل شيئا حيث أنه قد عرف أنها فتحتها... وقرأتها؟ وأحست بحيرة جارحة.

قال:«هل يجب ان تذهبي؟»

لقد استحوذت الآن على اهتمامه كلياً، ولكن، لأمر ما، شعرت بارتباك غريب. وأجابت:«لا بد أن أذهب يوما ما.» ومنحته ابتسامة سريعة، وهي تتساءل عما إذا كان ما شعرت به في صوته هو أسف حقيقي. وتابعت:«إنني بحاجة الى مواد للرسم، ومن السخافة ان اشتريها من هنا، بينما عندي منها الكثير في البيت، كذلك أمي وأبي يريدان ان يعرفا كل شيء عنك...» ولم تستطع ان تنظر الى وجهه وهي تقول ذلك، وتابعت:«هذا عدا رؤية صديقتي جولييت. كذلك الشقة المغلقة من دون فائدة في حين أنها يمكن ان تكون ذات فائدة لزوجين يبحثان عن منزل بثمن معقول. إضافة الى أنه يمكنني ان أنجز اجراءات بيع مقتنياتي بنفسي. إنني اريد ان اخرجها الى السوق إذا... إذا كنت تعتزم أنني سأعيش في هذه البلاد بعد زواجنا.» قالت ذلك بهدوء وبشيء من عدم التأكد إذ أنه تحدث كثيراً عن حفلة الزواج في البداية، إلا أنه لم يأت على ذكر ذلك منذ أيام. وتابعت:«لا يمكنني ترك كل شيء لأبي او أمي لإنجاز ذلك كله. ان هذا ليس لائقا.»

قال وهو يتنفس بعمق:«معك حق.»

تساءلت عن السبب الذي يجعله حزيناً وهو يتحدث عن ذلك. وتابع قائلا:«انني اوافقك على ان من الواضح ان

العروس هي عادة بحاجة الى نقود. ولكن لا تستعجلي في التخلص من منزلك الآن، فهذا الوقت غير مناسب للبيع. ان بلادك تعاني ركودا تجاريا... وأثمان الممتلكات هابطة الى الحضيض، من الافضل لك ان تدعيه بعض الوقت. فكري في البيع بعد ان تنتعش السوق.»

فكرت في ان الحق معه. راقبته وهو يأكل الخبز المحمص، ولكن، لماذا تملكها شعور غامض بأن عنده اسبابا أخرى عدا الأسباب التجارية التي ذكرها؟ هل تراه قد تراجع عن طلب الزواج منها... وقوّى من تراجعه هذا تسلمه لتلك الرسالة؟

قالت تذكره:«انك تعرف أنني كنت قد رهنت بعض أشيائي. وهنا، او في أميركا، ذلك المَول يطالب بنقوده...»

قال:«إذا، فسندفعها إليه.»

فكرت ساشا في أنه، إذا، ما زال مصمماً على الزواج. وفتحت فاها تحاول الاحتجاج عندما مسح هو يده بالمنشفة، ثم رفع إصبعه الى شفتيها يمنعها من الكلام وهو يقول بحزم:«إنني أصرّ على ذلك.» أدارت رأسها رائحة كولونيا بعد الحلاقة المضمخة بها يده، وتابع:«إنني لا اريدك ان تقلقي بالنسبة الى النقود. ان هذا ينقص من ابداعك. وموهبتك النادرة ينبغي ألا تبددها في التركيز على أشياء أخرى، للمناسبة...» وأمسك بيدها يمر بشفتيه على رؤوس اصابعها. وهو يتابع قوله:«لن يكون في إمكاني ان اخرج باكرا بعد الظهر كما سبق ان خططت لذلك. إذا كان لا يزال في نيتك ان تأتي الى المدينة اليوم، فتعالي وقابليني بعد

الساعة السادسة، سأكون قد انتهيت عند ذاك عملي، وسأصطحبك الى العشاء.»

لمَ لم يأتي على ذكر الرسالة؟ حدثت ساشا نفسها وهي تنظر إليه مبتعدا، بأن لا بأس بذلك. ولكن، كلا. إنه يعرف أنها قد رأتها وأنها تكاد تموت لكي تعرف ما هو مصمم على فعله بالنسبة إليها. وعلى كل حال، إن لها الحق في ان تعلم! فلماذا إذا، إذا كانت تلك المرأة لم تعد تعني له شيئا بعد الآن، يرفض ان يتحدث عن ذلك إليها بصراحة؟

كانت ساشا تتساءل عن كل هذا وقد امتلأ قلبها حزناً. لماذا حدثت نفسها، مرة أخرى، بأنها ستصاب بالجنون إذا هي استمرت بهذه الهواجس، دفعت بكل هذا من ذهنها، ثم تابعت شؤون يومها، فأمضت الصباح في إعداد تخطيطاتها وكتاباتها لكي تسلمها الى الناشر. ولم تشعر برغبة في الذهاب الى المدينة، ولكن، بما انها قبلت دعوة ريكس الى العشاء، صممت ان تعود الى ما سبق ان عزمت عليه من شراء سترة شتوية. الى جانب ذلك، فكرت في ان جولة في المحال قد تحسن من نفسيتها وتساعدها على ان تصحح من نظرتها الى الامور، ولكن، لم يكن لها مزاج للتسوق، لهذا وصلت الى مكتب ريكس قبل الموعد بقليل لتجد ان دوام موظفة الاستقبال قد انتهى، كما ان دوام الحارس الليلي قد ابتدأ.

حيته ساشا بكلمة رقيقة ثم تابعت طريقها الى المصعد، ثم الى الطابق العلوي.

كان المكتب الخارجي خالياً، ولكن باب مكتب ريكس

كان مواربا، ولما توجهت نحوه سمعت اصواتا آتية من الداخل.
سمعت صوتا غير مألوف لامرأة يقول:«إنك تقوم بعمل خاطىء.»
اجابها صوت ريكس:«هذه ليست أول مرة.»
عادت تقول:«إنك لا تخطىء، على الأقل ليس مثل هذا الخطأ الكبير. أوه يا ريكس، ألا تفهم؟ لقد كنا معا على ما يرام.»
فقال:«ولماذا رحلت إذاً؟» كان للطريقة التي تكلم بها بهذه الكلمات ما جعل الدم يجري باردا في عروق ساشا.
اجابت المرأة:«لقد... لقد كنت خائفة. لم استطع ان اتلاءم والوضع.»
قال:«والآن. اتظنين ان في استطاعتك ذلك؟»
قالت:«أوه، ريكس...» كان صوت المرأة منخفضا يضج بالمشاعر. «لقد أصبحت خشنا ساخرا الآن. حسن، لقد كنت مخطئة. ولكن أرجوك... لا تعاملني بهذا الشكل.»
قال:«وماذا تريدين ان تسمعي مني يا عزيزتي؟ انني لم أكف عن التفكير فيك؟ ان عدم رؤيتي لك مرة أخرى كان أشد إعاقة لي من معرفتي أنني لن أتمكن من السير مرة اخرى؟ أم انك كنت على حق؟» كانت ضحكته وكلماته تبدو وكأنه قدّت من رئتيه، وتحمل من الألم بقدر ما شعرت به ساشا وهي تسحب أنفاسها من رئتيها. لم تستطع تصديق ذلك. لقد دل عذابه هذا على أنه ما زال يحب تلك المرأة حتى ولو منعته كبرياء رجولته المجروحة من الاعتراف به.

كاد تنصتها ذاك يوردها مورد الهلاك حين سمعت صوت المرأة يقول بلهجة تقرب من الانتصار:«أوه، ريكس...» أرادت ان تشدّ بيديها على أذنيها كيلا تسمع المزيد وأن تجر نفسها بعيدا... ولكنها لم تستطع الحراك وهي تسمع خطوات نسائية خفيفة تسير على أرض الغرفة، ثم حركة عجلات الكرسي تبعتها آهة نسائية ثم صمت... صمت عاشقين، اشتبكا في العناق.
أوه، كلا... ان هذا بعد فوات الأوان. لقد ارتفعت يدا ساشا تغطيان أذنيها وهي تجاهد في ألا تصرخ يائسة. شعرت بالغثيان، بالتشنج في اوصالها وهي تجر نفسها من عذاب الواقع خلف الباب لتخرج عائدة الى المصعد.
لوح لها الحارس بيده وهي تمرّ، ولكنها لم تكد تنتبه له وهي تجتازه مترنحة من الألم، الى الشارع.
كيف يمكنه ذلك؟ وشعرت بعذاب هائل، تنفست بعمق محاولة ان توقف هذا العذاب من ان يغمرها. أوه، ريكس...
كانت حركة السير في أوجها تلك الساعة ولكنها لم تكد تنتبه. كان عقلها تشغله فكرة واحدة. وهي ان ريكس مازال يحب روزاليندا بيكينغتون.
في أثناء عودتها الى حيث تركت سيارتها، كان أول ما خطر لها هو ان تعود الى منزلها... لتدرك، فجأة، بسخرية ان منزلها يبعد ثلاثة آلاف ميل. ولكنها لا تستطيع العودة الى منزل الاستراحة.. الآن... ليس وهي في هذه الحالة من العذاب.
خرجت بسيارتها من المرآب بعدما دفعت الاجرة، بينما

كان ذهنها تتخبط فيه الأفكار المؤلمة أثناء اجتيازها الشوارع المزدحمة. لا عجب في أنه لم يأت على ذكر تلك الرسالة... ولم يعد يريد ان يتحدث عن حفل الزواج... لقد أصبح كل شيء الآن مفهوما، لقد كان في نفسه صراع بين حبه لروزاليندا، وبين نصيحته لساشا هذا الصباح بألا تبيع شقتها في أميركا. وتبرعه بأن يدفع عنها قيمة الرهن... لماذا كان ذلك؟ هل هو نوع من التأمين لها؟ المحافظة على مصلحتها، ومصلحته، للإطمئنان الى انها لن تصبح متشردة كليا... فيكون في ذلك راحة لضميره فيما لو قرر عدم الزواج منها؟

كانت تبكي فتعوق دموعها قيادتها للسيارة. ولكنها مسحتها شبه غاضبة. لم تعرف كم بقيت تقود السيارة وإلى أي مدى. الى ان وصلت الى ناحية الجسر حيث أوقفت سيارتها، ثم نزلت تتمشى على الشاطىء المغمور بنور الغسق المتضائل.

كانت سرعة الرياح، والسحب السوداء الآتية من البحر... كل ذلك يبدو غريبا منذرا بالشؤم، ولكنها لم تهتم وهي تسير ترفس الرمال بقدميها وقد شابه صخب افكارها تخبّط تلك الأمواج على الشاطىء.

ما الذي يكون الآن بينهما بعدما سمعته في مكتب ريكس؟ هل انتهى كل شيء بينهما؟ هل يعود الى روزاليندا؟ في تلك الحالة، ما الذي كانت هي تمثل بالنسبة إليه؟ هل كان ذلك أكثر من مجرد فترة استراحة بهيجة مرت في حياته؟

يا حيرتي... إنها لا تستطيع التفكير في ذلك.

عادت الى السيارة بعدما سمعت صوت الرعد... ولكنها

كانت قد سارت شوطاً طويلاً من دون وعي منها، وقد حل الظلام وانهمر المطر حين وصلت الى السيارة. وهكذا، بثيابها القطنية الخفيفة المكونة من قطعتين التي ارتدتها لمناسبة الذهاب الى العشاء كانت ترتجف وقد بللها المطر عندما وصلت اخيرا الى منزل الاستراحة.

كان الوقت متأخرا أكثر كثيرا مما كانت تظن. فكرت في ذلك وهي تلقي نظرة على ساعة الجدار وتصعد بهدوء الى غرفتها هلعة من مواجهة ريكس، متسائلة عما يمكن ان تقوله له وماذا يمكن ان يقوله لها.

سرت بوصولها الى غرفتها دون ان يراها أحد. خلعت ثيابها المبللة وأسنانها تصطك من البرد، واخذت تفرك جسدها بالمنشفة، ثم لبست ثوبا طويلا أبيض وابتدأت تجفف شعرها عندما، فجأة، اندفع الباب مفتوحا. وأطلقت صرخة خوف عندما ارتد الباب مغلقا بعنف. وأطفأت مجفف الشعر بيد مرتجفة وهو يصيح بها: «أين كنت حتى الآن؟»

لم تكن ترتجف من رؤية ريكس هناك، في غرفتها فقط، وإنما ايضا من الغضب الذي كدّر وجهه حتى نفرت العروق في عنقه من خلال فتحة قميصه: «ألم تفكري في القلق الذي كان يفترسنا جميعا عليك؟ كيف تتصورين تفكيري عندما أترك خطيبتي في وقت على أمل ان أراها عند العشاء، ثم لا يعرف أحد في أي مكان هي إذا لم ترجع حتى قبل منتصف الليل؟ كما على موعد... أتذكرين؟ أم انني لا استحق اتصالا هاتفيا تخبرينني فيه بإلغائك الموعد إذا كنت قد شئت ذلك؟ إذا كان ثمة شيء يبقيك خارجا الى مثل هذا الوقت وحدك؟»

كان ثمة تهكم في جملته الأخيرة. ولكن، كيف له ان يتهمها بأنها مع شخص آخر بعدما سمعته من خلال باب مكتبه؟ وشعرت بالمرارة.

هزت كتفيها قائلة وهي تضع مجفف الشعر على الطاولة:«إنني آسفة.» وفطنت الآن، شاردة الذهن، إلى أنه صعد الى غرفتها بالمصعد الذي كان قد أصلح في اليوم السابق فقط. وتابعت تقول:«لم أدرك اننا قد توصلنا الى اتفاق نهائي.»

لقد كانت تكذب الآن، في محاولة جبانة لتتخلص، وقد كان اضعف وأشد تألماً من ان تواجهه بحقيقة ما سمعت.

قال:«أوه، لم تدركي ذلك؟»

انه لم يصدقها. لقد أخبرتها عيناه وحدهما بذلك. لقد كانا كقطعتين من الجمر تخترقانها وهو يتابع:«إذا ما الذي كنت تفعلينه طوال ذلك الوقت؟ هل كنت تسبحين؟»

قال ذلك بسخرية جارحة وعينا تنظران الى شعرها المبلل وتابع:«لا أظنك استطعت الاغتسال في هذه المدة القصيرة. وأظن ان الحماماتِ العامة تغلق أبوابها منذ ساعات. ماذا كنت تفعلين إذا؟ تركضين حافية القدمين تحت المطر مع ذلك الانتهازي تشيز؟»

التهبت عينا ساشا وهي تقول:«كيف تجرؤ على هذا القول؟» لقد أرادت ان تصرخ به وتخبره بكل ما سمعته منه ومن تلك المرأة، ولكن الكلمات التصقت في حلقها، لتقول:«وماذا لو كنت معه؟ إنه على الأقل لا يريدني فقط لكي يتعزى بي عن شعوره بالاحباط.» كانت بذلك ترد له الضربة، تريد بذلك ان تؤلمه قدر ما ألمها وهي تسمعه

بيث روزاليندا بيكينغتون لواعج قلبه. وأدركت، وهي ترى المشاعر المظلمة التي كست وجهه، انها قد تجاوزت الحد.

دخل بكرسيه وقد شحب وجهه بثورة عارمة، خابطاً الباب خلفه بعنف أفزعها. ورأت عقد أصابعه تبرز عظامها لشدة قبضتيه على ذراعي كرسيه وقد لمعت عيناه ليس بالغضب وحده وإنما أكثر وأكثر، بنظرة ثلجية تنذر بتصميم بالغ الخطورة.

جحظت عيناها تحدق إليه وقد بدا ان كل قوته الجسدية قد ظهرت في يديه هاتين، ثم، وبكل إرادته الهائلة، اندفع واقفا، تاركا الكرسي ليتقدم إليها ببطء مخيف.

الفصل التاسع

«ريكس...»

رفعت ساشا يدها الى فمها وهي تتراجع خطوة الى الخلف وقد أدارت رأسها الصدمة لتصطدم بحاجز السرير، وقد تعلقت عيناها بعينيه الملتهبتين ليندفع نحوها بقوة قبل ان تتمكن من الهرب من طريقه.

قال وهو يضحك بخشونة إزاء صرخة الذعر المبتورة التي أطلقتها: «وماذا في ذلك؟ ألا اعجبك في هذا الشكل؟» وأفقده توازنه مقاومتها فانقلب وإياها ساقطين على السرير وهو يقول: «أليس هذا ما تريدين؟ رجلا يستطيع ان يمشي؟»

هتفت بضعف: «كلا! كنت أقصد...! أوه، ريكس، كلا... ارجوك!» كان غضبه متواصلا، وكانت مقاومتها من دون جدوى.

قال بصوت مخيف: «ما الذي يخيفك هكذا؟ ألا أعجبك في هذا الشكل؟ أم ان ذلك يحطم ما توهمته عن ذلك المعوق الجدير بالرثاء الذي ارتبطت به؟»

«إياك!» قالت ذلك وهي تبكي وتشهق إزاء غضبه العارم ذاك، وإزاء كل المفاجآت القاسية التي عرضها لها هذا النهار، وكانت تقاوم عبثا. فقد كان مسمرا معصميها بمستوى كتفيها، تكاد قبضتاه القويتان عديمتا الرحمة، ان تسحقا لحمها.

«ريكس...» رفعت نظرها إليه، وبدهشة، ولعدة لحظات، لمحت على وجهه مشاعر محرقة. شهقت وهي ترى فيها

الألم العميق ذاته الذي يكمن في أعماقها هي، كان ذلك للحظات قليلة ليعود بعدها ذلك القناع الحجري يكسو وجهه. وصدر من حلقها صوت مختنق حين أهوى عليها بقبلة قاسية عنيفة.

فكرت بذهول. ما الذي تفعله وهي تعرف أنه يحب امرأة أخرى؟

عندما استيقظت، بعد غفوة قصيرة، كانت تشعر وكأنها تحترق. اخذت تئن في الظلام، وكأنما استيقظت من حلم مؤلم، تذكرت المشهد الغاضب مع ريكس، ولكن ريكس قد ذهب. ربما كانت هي تهذي متصورة ما حدث، ذلك أنه غير موجود. ولو كان ما حدث بينهما، حقيقة وليس مجرد تخيلات منها، لما ذهب من دون ان يوقظها. لا بد أنها سقطت في اغفاءة بعد ذلك، اذ ان الليل قد بدا وكأنه اختلط بالنهار. لقد سمعت اصواتا وحاولت ان تجيب، ولكن يبدو أنهم لم يفهموا ما كانت تقول.

لقد نادت ريكس، وتصورت أنه قد استجاب لها على الاقل. ولكنها عجبت من ان يفعل ذلك في الوقت الذي يحب فيه امرأة اخرى، ومن هو الرجل الجالس إذا بقربها على السرير، يمرر يده على جبينها بحنان، ويهمس إليها بكلمات حلوة رقيقة وكأنه يحبها؟

عندما استيقظت مرة أخرى، كانت الحرارة قد انخفضت ولم تعد تشعر بالالم. كما ان ذهنها قد استعاد صفاءه ورفعت عينيها إزاء أشعة شمس أيلول (سبتمبر).

نزلت بضعف عن السرير وهي تشعر بحاجة ملحة الى الإغتسال... ثم، وقد ادركت مبلغ عدم توازنها، تمسكت بأحد أعمدة السرير

في الوقت ذاته الذي دخلت فيه شيلا الغرفة. أسرعت إليها المرأة تهتف بلهفة:«إذا، لقد استيقظت. هل انت متأكدة من أنك بخير؟ لقد كنت فريسة الهذيان مدة يومين. لا أستطيع إن أصف لك مبلغ القلق الذي أصابنا لأجلك. خصوصا ريكس. غريب منك ان تسيري تحت المطر فتصابي بالبرد!»

نظرت إليهاساشا وهي تتمتم:«هل هذا ما حدث؟» لم تكن تريد ان تتذكر رحلة العذاب تلك الى شاطىء البحر، وذلك المشهد البشع مع ريكس، وكلماتها المرة التي استفزته الى ان ينهض عن الكرسي ويمشي...! ولكن شيلا تقول إنه كان قلقا عليها. تملكتها رجفة وهي تتذكر عنفه في أثناء معاتبتها. هل غيّر ذلك ما سبق من شعوره نحوها؟ تساءلت عن ذلك بألم وهي تنظر بحيرة الى قميص النوم الذي لم تتذكر أنها لبسته.

قالت شيلا:«كنت لا تزالين في معطفك المنزلي، شبه غائبة عن الوعي، عندما جئت وقررت ان استدعي الطبيب. لا بد أنك كنت تشعرين بالمرض، مما جعلك تستسلمين لمثل هذا النوم الطويل.» وأشاحت ساشا بوجهها لتخفي وجنتيها المتوهجتين، بينما تابعت والدة ريكس تقول:«وفكرت في أنك ستشعرين براحة اكثر في قميص نومك.»

تمتمت ساشا:«شكراً.»

لم تكن تحب بتاتا ان تكون مصدر إزعاج لأحد. وكانت على وشك ان تقول هذا عندما سألتها شيلا:«هل أنت جائعة يا ساشا؟ هل آتي إليك بفطور؟»

كانت جائعة فعلا، ولكن الحمى كانت قد اصابتها

بالجفاف. وقالت تجيبها:«شكراً، ولكن قبل ذلك، هل يمكنني ان أحصل على شيء من عصير البرتقال من فضلك؟»

قالت شيلا:«بالطبع يا عزيزتي. سأرسله إليك حالاً.» من دون ذكر لتمكن ريكس من المشي، أدركت ذلك عندما أصرت المرأة على إعداد الحمام لها، كما انها تأكدت من ان كل ذلك لم يكن حلماً. فهل يعني هذا ان تلك الكلمات الرقيقة التي سمعته يهمس بها إليها عندما كانت مريضة، هل هي حقيقة وليست حلما. وأفعمت بالأمل وهي تصل بتفكيرها إلى هنا. وتضايقت لما أخبرتها شيلا من أنها كانت تهذي طوال الوقت، ربما كانت هذه مجرد تصورات لكلمات عاطفية كانت تتخيلها، مستمدة إياها من تشوقها الشديد الى ذلك.

عندما نزلت الى غرفة الطعام لتناول فطورها المكون من بيضة مسلوقة وخبز محمص، وشربت ما يعادل ليترا من عصير البرتقال، صادفت ريكس في غرفة المكتبة. كان جالسا الى منضدة يقرأ في كتاب. لم يسمعها وهي تدخل. كان منحنيا على الكتاب، كان في ذلك المنظر ما جعل قلبها يتلوّى ألما. وفجأة، رفع إليها نظره دهشا وقال:«ساشا؟» وتألق وجهه القوي بابتسامة وهو يدفع بكرسيه الى الخلف بعيدا عن المنضدة.

قالت تذكره مرتبكة وقد بدا التساؤل في عينيها وهي تراه سجينا، كالعادة، في كرسيه، قالت:«ولكنك... مشيت.»

قال:«نعم.» ومد يده يأخذ عصا كانت ملقاة على كرسي إلى جانبه، ثم يقف مستندا إليها بطوله الفارع، مشرفا عليها وهو يقول:«كيف حالك؟»

قالت بخجل:«لا بأس.» وعجبت لاهتمامه بها بهذا الشكل، في الوقت الذي يحدث له هو هذا الشيء الرائع. حاولت جاهدة ان تمنع نفسها من الإندفاع إليه لتدفن وجهها في قميصه المتهدل ذاك.

قال مبتسما وهو يتقدم نحوها متكئا بصعوبة على عصاه:«لقد التحقت بناد.»

قالت بارتياب وهي تنظر إليه يمشي:«منذ متى... عرفت ذلك؟» كان يترنح قليلا. كان ذلك حقيقة... إن كل ما يحتاجه هو التمرين. كانت متأكدة من ذلك.

قال:«لم أكن اعرف.» ووقف بعيدا عنها متابعا قوله:«كنت أحاول منذ أشهر، من دون نجاح. لم أستطع حتى أن أضع قدما أمام الاخرى من دون ان انكفىء الى الامام. الى ان جعلني شيء ما أفور غضبا إلى أن...»

شيء ما... إنه يعنيها هي. فكرت ساشا في ذلك بعدما التقت أعينهما، وهي تشعر بوجهها يتوهج. لم يكن المشي هو الشيء الوحيد الذي حصل في تلك الليلة. ولكن، رغبة منها في أن تبعد ذلك الموضوع عن حديثهما، سألته:«هل أخبرت أمك؟ كان ينبغي ان تقول لي شيئا عن ذلك. ولكنها لم تفعل.»

قال وهو يضع يده في جيب سرواله:«كلا. لا أقصد بهذا أنني لم أخبرها، بل أقصد أنني طلبت منها ألا تخبرك. لقد مرت بنا فترة بشعة تلك الليلة، ولم أستطع إلا ان أفكر في انني اسهمت في مرضك. ولم أشأ ان يذكرك احد بذلك من دون ضرورة. لقد قال الطبيب ان سبب مرضك هو برد شديد... ولكني أظن ان ثمة سببا آخر لذلك.»

نظرت إليه متسائلة وهي تعبث بأصابعها. كانت أساريره خالية من التعبير وهو يمعن النظر الى وجهها الشاحب وعينيها القاتمتين المتسعتين، ومظاهر الهزال تحت قميصها وسروال الجينز الذي ترتديه، ثم، قال بهدوء:«تعالي الى هنا.»

جعلت لهجته الهادئة الآمرة خفقات قلبها تتسارع. أطاعته، لتشهق إذ جرتها ذراعه إليه لتحتضنها بشدة وهو يقول:«إلى أين ذهبت، ليلحق بك مثل ذلك البرد والبلل؟ كان يمكن ان تصابي بالتهاب رئوي. أين كنت؟» كان سؤاله هذا حازما برغم رقته.

قالت معترفة:«لقد كنت أتمشى.» كانت تجيبه، مستجيبة للهجته المسيطرة، شاعرة بالضعف والوهن، مستكينة لقوته وهي تعجب كيف كان يبدو كالصخرة العملاقة، قوة ورسوخا، في الوقت الذي يحتاج فيه الى عصا ليتكىء عليها.

سألها:«مع غايفن؟»

كان ذلك ما جعلته يعتقد في تلك الليلة. ولكنها يجب ألا تكذب عليه الآن. وتمايل شعرها على كتفيها وهي تهز رأسها نفيا وهي تقول:«كلا.»

قطب جبينه وهو ينحني عليها لتغوص عيناه في عينيها. وفجأة، مر بشفتيه على جبينها برقة بالغة. بدا ان دفئه ورائحته وقوته قد بعثت في أوصالها الواهنة القوة، فرفعت ذراعيها تحيطانه بهما. قال وهو يلقي بالعصا بعيدا ليأخذها بين ذراعيه، مستندا الى المنضدة خلفه، بما يشبه الغضب:«إنك تسحرينني. إنني جادا بذلك.» تنهدت قائلة:«ريكس...»

ألا يبدو عليه الآن أنه يحبها هي، وليس روزاليندا بيكينغتون، برغم كل تصوراتها؟
فجأة استجمع أرادته ليبتعد عنها وهو يقول:«إنك ما زلت مريضة.» وربت على ظهرها بلطف وهو يستطرد:«إضافة الى أننا، إذا بقينا نقوم بهذا العمل، فسنصل الى ما لا تحمد عقباه، وأنت لا تريدين ذلك. أليس كذلك؟»
هل هي لا تريد ذلك حقا؟ هزت رأسها وقد غامت عيناها.
لماذا تبدو عليه كل هذه الثقة بأنها لا تريد ذلك؟ أم تراه يتجنب ذكر إمكان ذلك لأنه يتعارض ورغباته؟ لم تكن متأكدة منه لكي تسأله عن كل هذا برغم أنها كانت تضع خاتمه في إصبعها.
كان ينظر حوله إلى عصاه، وانحنت ساشا تلتقطها وتناوله إياها.
قال:«شكرا.» مد يده يتناولها منها، ثم يقبض على يدها بيده الأخرى بينما كانت تحاول التراجع، ليتابع بعبوس:«لماذا أردتني ان اعتقد انك كنت مع غايفن؟»
فكرت في ان سبب ذلك انها رأته مع روزاليندا في مكتبه... أرادت ان تتخلص من هذه المعرفة التي يعذبها كبتها في نفسها وذلك بأن تصارحه بها. ولكنها لم تستطع... كانت شديدة الخوف مما قد يكون جوابه.
وهكذا، هزت كتفيها وهي تتمتم:«لا ادري.»
بعثت لمسة يده الألم في نفسها مرة أخرى. نظرت إلى ذلك الإبهام الضخم يشد، من دون انتباه، على معصمها.
وعند ذلك اومأ برأسه إيماءة لا تكاد تلحظ وقد توتر فمه وكأنما قد أرضاه جوابها من بعض النواحي، ثم قبلها على جبينها قبلة فاترة لا تتناسب والرجفة في صوته

حين قال:«إرتاحي اليوم، وغداً، إذا كنت فتاة طيبة جداً، قد أسمح لك بالخروج.» وبابتسامة ملتوية لا تعبر عن شيء في وجهه، تابع:«والآن، إصعدي الى غرفتك قبل ان احملك بنفسي الى فراشك.»
مضى، يومان قبل ان تشعر ساشا بالقوة الكافية للخروج لتتمشى. وكانت الشمس دافئة منعشة، مما جعلها تبقى في الخارج فترة، جالسة على المقعد الذي سبق ان جلست عليه مع ديبورا.
جاءها صوت ريكس بينما كانت مستغرقة في قراءة مجلة بين يديها:«يبدو عليك الاسترخاء، مما يجعل إزعاجك شيئا مؤسفا.»
قفزت للمفاجأة. فقال وهو يبتسم نادماً:«إنني آسف.» جلس الى جانبها وأسند عصاه أمام ساقيه. كان يمشي قليلا، إنما بشيء من الصعوبة، كل يوم. ولكن كان من الصعب التصديق انه مشى كل تلك المسافة من غرفة الحديقة التي كان الكرسي المتحرك لا يزال فيها.
قالت مازحة:«إذا كنت مغامرا الى هذا الحد، فلا بد أن أجعل لك لجاما.»
قال بابتسامة خفيفة:«مثل كلب او خادم أمين؟» ولكنه كان يعلم كما تعلم ان له السيطرة المطلقة، على الأقل بالنسبة الى مشاعرها إن لم يكن الى غير ذلك.
ضحكت ببساطة قائلة:«ولكنني لا استطيع ان اتصورك في ذلك الدور.» ومالت ناحيته من دون وعي منها. كانت تريده ان يحتضنها، ولكنه لم يفعل، كان يراقب حركات عصفور صغير كان يقفز بين الصخور الاثرية خلف الفوارة.

قال:«أوه، لقد سبق ان ارتبطت يا ساشا... ولو أن ذلك ليس بالمعنى الحرفي. وبالتأكيد، انت لست من السذاجة بحيث لا تدركين ذلك. إنني اقصد انك تدركين كيف يفقد الرجل تمالكه لمشاعره. لم يحدث قط ان جعلتني إمرأة أرغب فيها من أول نظرة الى هذا الحد، كما فعلت انت، وأنت تجلسين هناك ضعيفة عاجزة كطفلة عديمة المسؤولية، مما جعلتني أرغب في الأمرين، ان أحميك وأن آخذك الى عالمه. وإن غلطتك الكبرى هي في ان تدعيني أعرف ان هذا الشعور هو متبادل بيننا. ايضا، لا اظن ان ثمة رجلا يستطيع مقاومة الجاذبية الطبيعية غير المتكلفة كجاذبيتك. إنك تملكين من الجاذبية أكثر مما تملك كل النساء اللواتي يستعملن الوسائل المصطنعة لذلك. ان هذا لشيء مدمر. والمحيّر هو انك لا تدركين ذلك عن نفسك، أليس كذلك؟»

كان في لهجته استنكار جعلها ترمقه بنظرة جانبية قائلة:«إنني آسفة.» لقد اعتذرت شاعرة بجرح في اعماقها. لماذا كان يتحدث إليها في هذا الشكل؟

لماذا يتكلم بصيغة الماضي وكأنه... ونفت عنها هذا الخاطر قبل ان يتمكن منها وهي تقول:«تلك هي طبيعتي ولا يمكنني تغييرها.»

قال:«بالضبط. تلك البراءة هي التي تجعلها مدمّرة.»

لم تعرف ماذا يقصد بقوله. ولم تستطع كذلك ان تفكر لأنه كان مائلا نحوها وذراعه ممتدة الى مسند المقعد. وفطنت الى أنه احنى رأسه يحاول تقبيلها، وعندما أرادت ان تتجاوب معه، رجع برأسه إلى الوراء فجأة وهو يقول بهدوء:«ان الزواج يتطلب شيئا اكثر من ذلك.»

نظرت إليه بسرعة متسائلة عما يحاول ان يقول. وانقبض قلبها وهي تتطلع الى يدها الصغيرة في يده وأصابعه حول خاتم الخطبة، وهو يقول:«في تلك الليلة...»

سكت وكأنه يجد صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة، ثم اكمل قائلا:«لقد كان الحق معك. لقد كنت انا انانيا. حسن، لقد تقدمت حالتي نوعا ما، ولكن ليس ثمة ما يضمن أنني سأمشي في شكل طبيعي، ذلك شيء لن يعود تماما كما كان قبل الإصطدام.» ونظر إليها بوجه خال من التعبير وتابع:«ما أريد ان أقوله هو... إنني لن ارغمك على استمرار الخطبة.»

كانت تعلم ان ذلك سيحصل. كانت تعلم ولو ان عقلها كان يرفض الحقيقة. حتى هذه المعرفة لم تساعد على ان تقلل من الصدمة التي اصابتها وهو يقول ذلك.

انعدم اللون وشحب وجهها وهي تقول:«تعني... انك تفسخ الخطبة؟»

تساءلت عما إذا كان صوتها قد اظهر اليأس الذي يعتمل في نفسها حين اجاب:«كلا. سأترك الأمر إليك كليا.»

لماذا؟ ارادت ان تصرخ بهذه الكلمة. وحدهما عيناها المعذبتان ألقتا عليه هذا السؤال. لأنها تعرف لماذا. ربما كانت قد صدقت كلامه على نفسه بأنه كان أنانيا... لأنه كان قد تظاهر بأن هذا العمل إنما هو لأجلها هي، مظهرا أنه يقدم إليها باب التحرر من الإرتباط به. ولكن، بعد ذلك المشهد الذي شهدته بينه وبين روزاليندا تلك الليلة، لم يبق لديه أي شك في أنه مازال يحب تلك المرأة. والآن، عندما لم يبق مرتبطا بالكرسي تماما...

كان عليها ان تتمالك دموعها التي كانت على وشك الانهمار. إنه يترك الأمر لها، كما قال، لأنه حتى لو كان يحب امرأة اخرى، فإن كرامته وشرفه يمنعانه من الإخلال بوعد قطعه على نفسه.

«إذا فالأمر هكذا، أليس كذلك؟» كانت تشعر بشفتيها ترتجفان، ولكن كان مما يبعث على الحيرة أنها كانت لا تزال تستطيع ان تبتسم.

كان النسيم يعبث بشعره، وتشنجت أصابعها وهي تتساءل لماذا لم تعد تستطيع ان تلمس شعره مرة أخرى.

عبس وقال:«هل هذا هو كل ما تقولينه؟»

إنه طبعا لا يعرف انها سمعت كل شيء في المكتب تلك الليلة. ولكن، ما الذي توقع منها سماعه؟ ان تقول له أحبك؟ ارجوك ألا تصنع هذا معي؟ ان لها كرامتها هي ايضا.

قالت:«ماذا ايضاً يمكنني قوله يا ريكس؟ لقد اتخذنا، نحن الاثنين، قرارا سريعا إذ ارتبطنا بالخطبة، فلا حاجة، إذن بنا الى الاستمرار بتحمل صعوبته علينا نحن الاثنين وذلك بإطالة أجل العذاب...» واختطفت مجلتها واستوت واقفة بعد اذ لم تعد تستطيع ان تبقى للتحدث في أمر انهاء الخطبة بالهدوء ذاته الذي يتحدثان فيه عن الطقس. إن عليها ان تبتعد.

«قفي.» أمسك بذراعها يوقفها أمامه كحيوان يائس وقع في الفخ. وقال:«لا يمكن ان تذهبي هكذا... وكأن شيئا لم يكن. ثمة شيء ينبغي ان تضعيه في اعتبارك، هو انك ربما كنت حامل.»

لم تستطع النظر إليه وهي تقول:«هذا غير محتمل.»

كانت خائفة من ان تنهار لذكرى ليلة الحب تلك.

كانت لا تزال مشيحة بعينيها، وهزت كتفيها غير مدركة ما تبدو عليه من عدم المبالاة الى ان هزها قائلا:«ألا تهتمين بما فيه الكفاية ولو لتؤمني مستقبل إبننا؟»

ضغط على ذراعها بقوة، وبغضب جريح انتزعت ذراعها منه. كيف يتحدث عن الاهتمام في حين أنه هو الذي يريد ان يدمّر علاقتهما، في حين أنه هو الذي يعشق امرأة أخرى؟...

قالت وقد رفعت رأسها عالياً، وهي الطريقة الوحيدة التي يمكنها ان تواجهه بها من دون ان تستسلم للدموع:«اولا، انه مجرد إفتراض، ولكن، إذا حدث هذا فعلا، فإنني قادرة تماما على العناية بابني...»

قطب جبينه وهو ينظر إليها كما لو أنها فقدت عقلها:«وهل تريدين انت ذلك؟»

قالت لاهثة:«كلا، ولكن إذا حكمت الظروف...»

قال:«تبا على الظروف.» ولدهشتها، وقف بسهولة مستندا الى عصاه وهو يتابع:«إذا أصبح لنا ولد...» وقبض على ذراعها بشدة مرة أخرى وهو يستطرد:«... فأنا أريد ان أكون جزءا من حياته. ومهما كان شعورك نحوي فإنك لن تتركي هذا المنزل حتى أتأكد انا من ذلك.»

يا للهول، كيف يكون بهذه القسوة؟ وبدا اليأس في صوتها وهي تقول:«لي الحق في أن أذهب الى المكان الذي اشاء متى اشاء.»

قال:«إفعلي ذلك، وسأجدك أينما تذهبين.»

احتل الغضب مكان اليأس الذي بدا عليها منذ لحظات، لتقول:«حتى لو كان هناك امرأة اخرى؟» لم تستطع منع نفسها من ان تقول ذلك. لقد انفجرت عواطفها المحطمة مظهرة الحقيقة، بينما شعرت بقلبها يعصره الألم.

بدا عليه تردد قصير قال بعده:«حتى لو وجدت امرأة أخرى.»

أحست بطنة ألم في قلبها وهي تحاول تخليص نفسها من قبضته مجاهدة ضد الإثنين،عذابها، وتلك القوة التي لا تلين. بينما كان هو مهدئا إياها بصوت منخفض خشن:«ساشا... أعطينا هذا على الأقل. إبقي الى ان تعلمي... إما هذا، وإما ذاك. هذا كل ما أطلبه.»

كان في وجهه نوع من الألم، وهو يتحدث، لم يخف عليها. ألم بالعمق ذاته الذي تشعر هي به. ولكن، كلا طبعا... لقد كانت تتخيل ذلك بطبيعة الحال، كما فكرت. وإن ذلك الظل تحت عينيه لا بد أنه من تأثير الشمس. أومأت برأسها وقد منعتها الصدمة من الكلام. فلتدعه يعتقد ذلك إذا شاء. كيف يمكنها ان تتحمل عذاب البقاء وهي تعلم ان ثمة، منذ الآن الى حين سفرها، امرأة تنتظر رحيلها لتحتل مكانها؟

لكن، إذا هي ذهبت الى نيويورك، ثم اكتشفت انها حامل، ماذا يحدث حينذاك؟

جاءها هذا السؤال من قليل من التعقل في فكرها. إن لريكس الحق في ان يعلم ما دام هو والد الجنين. كما ان ذلك الطفل سيكون له كل الحق في ان يستمتع بحب والده وسنده. إنها لا تستطيع ان تنكر أيا من ذلك، مهما سبب لها البقاء من ألم. وربما، كذلك،

لا تأخذ معرفتها بالأمر أكثر من أيام معدودات... قال وهو يضع ذراعه على كتفيها:«إنك تشعرين بالبرد. عودي الى البيت.»

اجفلت هي من إحساسها بذراعه تلك، فجذبت نفسها مبتعدة عنه بسرعة، وقد شعرت بالبرد ينخر عظامها، ليس من أي شيء مادي، ولكن من فكرة مفاجئة ساورتها وهي انها إذا كانت حاملا، فربما أصر على الزواج منها برغم كل شي. وإذا هو فعل ذلك. فهل تكون هي من القوة بحيث تستطيع الرفض؟ أم انها ستقبل لأجل الطفل؟ وإذا هي فعلت، فهل تتمكن من احتمال العذاب الأبدي، وربما استيائه إذ هي تعلم بأن قلبه مع إمرأة أخرى؟

كانت تفكر في كل هذا، وهي تجتاز الممر نحو غرفة الحديقة. إنها عقبة، عليها ان تجتازها، عندما تصل في النهاية إليها.

الفصل العاشر

استجمعت ساشا عزيمتها وهي تعرف أنه إذا لم يكن الآن فلن يكون ذلك ابدا ونزلت لكي تعلم ريكس بالخبر.
إنها تعرف الآن. تعرف النتيجة التي كانا ينتظرانها هما الإثنان. في الواقع، لقد علمت بها منذ ساعات ولكنها احجمت عن إخباره. والآن وهي تدخل الى مكتبه لترى رأسه منحنيا فوق المكتب، إعتصر قلبها من الألم كيف يمكنها احتمال ذلك؟ ان تواجه مظهر الارتياح الذي سيبدو على وجهه عندما تخبره والذي لن يكون في وسعه إخفاؤه؟
نظر إليها بعينيه العميقتين، يتمعن في أعماقها وهو يتلفظ باسمها:«ساشا.» ولكنها حفاظا لكرامتها حاولت ان تتمالك مشاعرها فنظرت إليه بعينين باردتين قائلة:«لقد فكرت في أنك تود ان تعلم بالطبع.»
ربما كان ترددها هو الذي جعل أصابعه تتوتر حول القلم كالفولاذ. ولكن الصرامة ذاتها ظهرت على وجهه عندما قال بسرعة:«نعم.»
تنفست بعمق. إنه يعلم سبب مجيئها. جرضت بريقها وهي ترى التوتر في وجهه. وأخيرا قالت:«إنني لست حامل.»
تنفست بعمق وقد بدا صوتها ضعيفاً مختنقاً إذ أنها فجأة اخذت تجاهد كي لا تبكي. ربما كان هذا لأنه في الأيام القلائل الماضية، راودها أمل جنوني في أنها ربما كانت حامل. عند ذلك يمكنها على الأقل أن تحتفظ

بصلة به. وللسبب ذاته لم تشأ ان تخبره مباشرة بأنها غير حامل مما يعني ان تلك الصلة قد انقطعت تماما.
فقال:«فهمت.»
فكرت هي إذا كان قد شعر بالإرتياح فلا بد أنه كان يجاهد لكي لا يظهر ذلك على وجهه، وتابع:«وأنت الآن، ستسافرين الى بلدك!» عادت تفكر لماذا يتحدث وكأن ذلك الأمر تابع لمشيئتها:اليس هو الذي أراد فسخ الخطبة؟
قالت:«نعم.» كان ثمة انحناء قليل في كتفيها وهي تبدو في قميصها العملي القصير الأكمام وقالت:«لقد حجزت على الطائرة لصباح غد.» فحاول ان يرسم على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يقول:«انك لم تضيعي وقتك.»
ماذا كان يتوقع منها ان تفعل؟ ان تنتظر في منزله إلى ان تأتي امرأة اخرى لتحل محلها؟
تمتمت وهي تحاول جهدها إخفاء الألم الذي يعتمل في داخلها:«ليس ثمة فائدة من البقاء.»
قال موافقا:«كلا.» بدا عليه وكأنه كان بحاجة الى نفس عميق لكي يتلفظ بهذه الكلمة. وتابع:«في أي وقت يكون سفرك؟ ذلك لكي أتدبر امر أخذك...»
قاطعته قائلة:«ذلك ليس ضروريا. لقد تدبرت بأن أذهب في سيارتي، وفي المطار يأتي سمسار السيارات فيتسلم مني السيارة. لقد فكرت في أن اعفيك من هدر وقتك في محاولة التخلص منها وبيعها.» وهتف قلبها بلوعة، لماذا ينظر إليها في هذا الشكل...؟ ذلك أن نظراته تعلقت بنظراتها وقد بان فيها ألم غريب في شدته وشعرت بعدم القدرة على تمالك نفسها ومنعها من الإنهيار.

قال بصوت مختنق حاول ان يجعله ساخراً:«لقد فكرت في كل شيء، أليس كذلك؟ حسن، هذا يدل على شدة اهتمامك. ولكنني أظن هذا ضروريا يا ساشا. يمكنك ان تقودي سيارتك إذا شئت، ولكنك لن تصعدي تلك الطائرة من دون ان أكون انا هناك. والآن ما هو وقت سفر الطائرة.»

لم تكن تريد ان تخبره. لم تكن تتصور كيف تقول له كلمة الوداع في ذلك المطار المزدحم، من دون ان تنهار. ولكن، إذا هي لم تشأ ان تخبره فإن كل ما عليه ان يفعل هو ان يستعلم من المطار عن ذلك. وهكذا أخبرته.

قال بلهجة ثابتة وكأن معرفة هذا هي شأن من شؤونه. تساءلت والألم يقطع نياط قلبها. ألا يدرك هو كم يكلفها وداعه هناك من عذاب؟ همت بأن تقول له ذلك عندما رن جرس الهاتف على مكتبه.

التقط السماعة وابتدأ يتكلم بينما أشار بيده الأخرى الى ساشا بالبقاء.

تنهدت وهي تفكر في جدوى بقائها. وسمعته يقول بخشونة:«وماذا الآن. ألا يمكن هذا ان ينتظر؟» حاولت ان تلمس في لهجته شيئاً من الألم او الإحباط ولما لم تجد ذلك استدارت وهربت من المكان.

لم يبق بينهما ما يقال. فلماذا يحاول ان يطيل من وقت المحادثة؟ لقد سبق ان قال ان كل ما كان بينهما ما هو إلا جاذبية، على الأقل من ناحيته هو، وفكرت بألم، على كل حال، كلما أسرعت بالسفر كان ذلك أفضل. ولكنها، عندما خرج في ما بعد، وانفردت في غرفتها تطوي ثيابها وتحزم امتعتها، عند ذلك فقد شعرت بأنها انما

كانت تخادع نفسها. إنها لا تريد ان تفارقه. ان ذلك يعني أنها ستفارق قسما جوهريا من نفسها. ذلك أنها لا يمكن ان تعاود حياتها السابقة كما كانت من دونه. لكنها ستتابع حياتها بشجاعة. استقامت في وقفتها وهي تفرغ محتويات أدراجها. وفكرت في أن هذه هي الحياة. لقد سبق من قبل ان أحبت ثم خسرت حبها، ولكنها اجتازت تلك المحنة وكانت محنتها تلك محزنة بقدر ما هي محنتها الحاضرة.

كانت تحاول ان تغزي نفسها بالتحليل واختلاق الأسباب المخففة برغم أنها تشعر بالموت يدب في كيانها. الفرق الوحيد بين المحنتين هو ان حبيبها الآن قد أحب امرأة سواها...

لم تكد تنام تلك الليلة. وحوالي منتصف الليل، سمعت قرعا هادئا على بابها.. وعرفت من خطواته أنه ريكس ولكنها تصنعت النوم. ذلك ان الحديث معه لن يصلح الأمور، واستدارت بعنف في سريرها الضخم. ذلك ان حديث الوداع مع شيلا كان مؤلما بما فيه الكفاية عندما علمت المرأة بأمر فسخ الخطبة من ريكس، فصعدت الى غرفة ساشا لتعبر عن أسفها لذلك.

قالت لها وهي تجلس الى جانبها على السرير:«يجب ان أقول إنني لم اشر في البداية بالإرتياح لخطبتكما هذه، ذلك لأنها أتت في صورة مفاجئة وكنت أنا أفكر بطبيعة الحال، في حالة ريكس. ولكن الآن... حسن، لا أدري ما الذي يجب ان أقوله.» كان من الواضح ان الخبر قد هزها. وتابعت المرأة قائلة:«كل محبين لهما مشاكلهما التي سرعان ما تمر. وريكس لم يكن ليستوعب أن

الأمر يجب ان يكون اتفاقاً متبادلاً بينكما... أعلم ان هذا شأن خاص بك... ولكن، ألا تظنين ان سفرك هذا الى نيويورك... وانفرادك بنفسك قد يساعدان على حل مشاكلكما؟»

علمت شيلا الجواب حالما نظرت إليها... كما أدركت ساشا. لقد كان الأمل الذاوي منعكسا على وجهها.

استيقظت ساشا مع خيوط الصباح الباكر تتسلل إليها من بين الستائر السميكة. كان الألم والمرارة يعتصران قلبها وهي تتطلع الى ساعتها... ما زالت هناك ساعات على موعد إقلاع الطائرة، قبل ان تقول كلمة الوداع الاخيرة لريكس. ثم بعد ذلك تدخل الى الطائرة مفارقة إياه الى الأبد وكأن شيئا لم يكن. كيف يتوقع منها احتمال ذلك؟ كيف يكون الى هذا الحد من عدم الإحساس؟ وتنهدت بألم بالغ. ألا يدرك ان كل ثانية تقضيها معه في المكان الذي يمثل نهاية علاقتهما، هي كساعة تقضيها على آلة التعذيب؟

آوه، يجب ألا تبكي. فكرت في ذلك وقد التهبت مشاعرها لتجمع الدموع في عينيها. لقد عاهدت نفسها على ألا تدعه يراها محمرة العينين منتفخة الأجفان، وإلا فسيعلم هو الى أي حد تحبه، وكيف ان عزمه على الإنفصال قد حطمها. الطريقة الوحيدة لتجنب ذلك بعد ما انتظرت دموعها تلك التي تجمعت في مآقيها لتنهمر على وجنتيها غزيرة دفاقة، الطريقة الوحيدة لكي تمنعه من رؤية ضعفها هذا، هي ان تذهب من دون ان تراه، الآن في هذه اللحظة. يجب ان تترك له كلمة صغيرة وتتسلل خارجة قبل ان يستيقظ من النوم، فتكون بهذا

قد جنبت نفسها عذاب الوداع، وعليه هو ان يحترم مشيئتها.

هكذا في خلال عشرين دقيقة، كانت قد نهضت من سريرها وارتدت ثيابها، ثم خلعت خاتم الخطبة من إصبعها ووضعته في مغلف يحتوي على رسالتها المختصرة وذلك على منضدة الزينة. ثم تسللت خارجة من البيت بهدوء.

كانت الشمس قد ارتفعت فوق حقول القمح بينما كانت تسير بسيارتها في طريق سافولك الخالية، ثم أنزلت زجاج سيارتها لتسمح للهواء النقي بأن يدخل رئتيها.

لم يكن من الصواب ان تمضي ليلة أرقة في حين أن أمامها مسافة ثلاثة الاف ميل سفرا. وتنهدت وهي تفكر في ذلك، ذلك انها لن تستطيع ابدا ان تنام في الطائرة كما انها لن تستطيع التركيز على شيء. انتبهت الى نفسها بذعر عندما انفجرت ابواق السيارات خلفها فجأة، لتشد من كابح السيارة بسرعة وهي تدرك انها كانت في خطر انزلاق السيارة الى الخلف لتصطدم بمن وراءها.

استطاعت ان ترى النهر يتألق من بعيد يشق طريقه متلويا بين الحقول. لقد تركت منزل الاستراحة من دون ان تلقي نظرة الى الخلف، خوفا من ان تنهار كليا لو أنها فعلت. والآن وكل ميل يزيد من ابتعادها عنه، اخذت تشعر بألم يعتصر قلبها.

لم تكن تفارق ريكس فقط، وإنما كانت تفارق هذه البلاد الرائعة الجمال. بلاد قد لا تراها بعد ذلك ابدا. وانهمرت الدموع على وجنتيها. على الأقل، ليس قبل

مرور سنوات تكون آلام جراحها قد خفت عما هي عليه الآن... وللتخلص من هذه المشاعر، انعطفت بالسيارة نازلة نحو النهر. كانت تعرف انها كانت تعذب نفسها ولكنها أرادت ان تلقي على المكان نظرة الوداع.

اوقفت السيارة على الضفة المكسوة بالأعشاب، وترجلت منها تاركة سترتها على حقيبتها في المقعد الخلفي ثم مشت في محاولة لتجد قواها والتخفيف من مشاعرها في استنشاق هواء الصباح النقي.

كان في الجانب الآخر للنهر، قطيع من البقر ترعى العشب في الشمس بأمان. وأغنام تثغو في مزرعة بعيدة، وكان صوت قبّرة يعلو من مكان قريب.

فكرت بألم، لماذا لا تتغير الاشياء هي ايضا؟ وفركت ذراعيها العاريتين من دون وعي. لقد كانت تلك الليلة التي عرض عليها فيها الزواج هي أسعد ليلة في حياتها. ثم لتعود روزاليندا بيكينغتون من السفر. لتنتهي هي هنا، مفارقة موطن نشوء حبها، انكلترا، وهذه المنطقة الريفية، وريكس... وسرت الدموع بين أجفانها... أغمضت عينيها وقلبها يهتف... نعم... ريكس...

«يا آنسة... إنتبهي!»

جعلها هذا الصوت تدير رأسها بسرعة لترى رجلاً يركض نحوها مع كلبه. ولكنه كان يشير الى شيء وراءها، استدارت ثم صرخت مذعورة. كانت سيارتها الصغيرة تتحرك منزلقة نحو النهر.

هرعت ساشا خلفها يلحق بها ذلك الرجل وكلبه الذي كان ينبح. ولكن السيارة كانت تنزلق بسرعة فاقت محاولاتهما إيقافها. لتقف ساشا اخيرا تنظر إليها

بيأس وهي تسقط من فوق الضفة لتستقر في الماء.

صرخت بذعر: «أوه، كلا...» حين رأت صندوق السيارة الأزرق تغمره المياه.

همست: «اشياتي!» وبسرعة خلعت حذاءها ونزلت الى الماء وهي تلهث من صدمة برودة المياه.

بعيدا عن الضفة بحوالي المتر توقفت. لم يكن ثمة جدوى من التقدم أكثر من ذلك. وما كانت تقوم به لم يكن إلا ليزيد من بلل ثيابها. وتملكها اليأس. كانت المياه تغمر السيارة الى ما فوق أبوابها، وكان الماء يتدفق الى داخلها من النافذة التي كانت قد فتحتها.

قال لها صاحب الكلب: «سأستدعي الشرطة.» بينما كانت هي تترك المياه شاعرة بالضيق من تبلل ثيابها.

وتابع الرجل: «سأحاول إيقاف السيارة الآتية هناك.»

هكذا كان وجلست ساشا في مخفر الشرطة تحتسي فنجان الكاكاو الساخن وقد لفت على كتفيها غطاء وارتدت سروالا اعاروها اياها بدلا من سروالها المبلل الذي ارسلته الشرطة لتجفيفه.

ابتدأ الشرطي التحقيق من وراء مكتبه: «تقولين انك كنت تقيمين مع صديق؟»

اومأت ساشا برأسها. فعاد الشرطي يسأل: «ألا يمكن اذن الاتصال بهذا الصديق...»

هتفت بذعر: «كلا.» انها لا تريد ان تورط ريكس في الأمر. يكفي ما عاناه منها إذ تركته هذا الصباح في هذا الشكل. إنها لا تستطيع مواجهته مرة أخرى خصوصا في الحالة التي هي عليها الآن. كانت مستميتة في سبيل ألا يعلم بالأمر. وقالت

للشرطي:«إذا امكنك الاتصال بالسفارة الاميركية...»
«هناك من يتولى هذا الأمر ويظهر ان الخط مشغول.
س
رفع الشرطي رأسه الى زميله الذي دخل لتوه يخبره بذلك، وما ان نظر الشرطي الثاني ناحيتها حتى غاص قلبها بين ضلوعها. لقد كان أحد رجال الشرطة الذين قدموا إليها في منزل الاستراحة لكي يحققوا معها عندما سرقت محتويات سيارتها. ولقد عرفها الآن كما بدا لها إذ أخذ يتبادل الحديث بهمس مع زميله.
قال لها وهو يلقي نظرة على التقرير:«هذا شيء يدعو الى الأسف، أليس كذلك يا آنسة مورغان... ان تفقدي متاعك مرتين؟»
شاهدت الشرطي الأول يجاهد في كبح ابتسامة، وتملكها اليأس. هل كانت المشاكل تنقصها لتقع الآن في مثل هذه المشكلة؟ وما لبث الشرطي الأول ان اعتذر ليخرج من المكتب. بدا لها الأمر وكأنها في كابوس قد تستيقظ منه في أي لحظة، ما عدا علمها بأنها مستيقظة تماما.
لم تعرف كم أمضت من الوقت وهي تراقب الناس يدخلون ويخرجون، ونظرت الى أعلى فجأة، لتختلط عليها المشاعر وهي تهتف بذعر:«ريكس!»
قال بصوت خشن:«ما الذي فعلته؟»
لم تستطع ان تتأكد من نوع المشاعر التي اختلطت في تلك الملامح المسيطرة وهو يعرج متقدما نحوها متوكئا على العصا. كان غضبه واضحا. ولكن هل هو شعور بالإرتياح ذلك الذي لمحته خلف ذلك الغضب؟ تساءلت

عن ذلك يحدوها شعاع من أمل. وتابع قوله:«ماذا كان المفروض عليّ ان أفكر فيه؟ أولا، رأيت انك قد رحلت تاركة خلفك كلمة صغيرة توضحين فيها ذلك، والشيء الثاني، هو اتصال الشرطة بي لتخبرني بأن سيارتك في النهر. ألم تفكري في أن همومي كافية من دون هم جديد إذ أفكر في أنك حاولت إغراق نفسك؟»
اجابته بحدة:«إنني لم أحاول إغراق نفسي.» وتساءلت عما إذا كان هو قلقا عليها حقا، أم ان ذلك الذي بدا عليه هو مجرد غضب! لقد كان حقا يبدو وكأنه ترك البيت على عجل. كان من دون ربطة عنق وقميصه ما زال مفتوحا تحت سترته عند العنق، كما لو كان يرتدي ثيابه عندما اتصلوا به هاتفيا.
تابعت قائلة:«ثمة عطل في الكابح.» لقد شعرت برغم كل شيء بالإرتياح لوجوده. وتابعت:«لقد خرجت من السيارة لأتنشق الهواء الطلق وما لبثت السيارة ان انزلقت لتتدحرج نحو الضفة.»
لم يكن أحد منهما منتبها للضابط الموجود وراء المكتب، بينما ساشا تطبق فكيها متحدية، وكان هو يكاد ينفجر غاضبا وهو يقول:«ليس لك الحق في الخروج من المنزل في هذا الشكل من دون ان تخبري احدا بأنك ذاهبة!»
قالت وقد دفعتها جرأته الى الوقوف على قدميها، لينزلق الغطاء عن كتفيها:«بل لي كل الحق. لقد أخبرتك أمس بأنني استطيع تدبير أموري بنفسي، ولكنك لم تستمع إلي.»
«كلا.» نطق ريكس بذلك بينما حاجبه يرتفع وفمه يرتعش فجأة، وهو يرى السروال الواسع المضحك الذي ترتديه

وقد جمعته على خصرها بحزام. تورد وجه ساشا من منظرها وحالتها هذه، وهي تفكر في أنها تدبرت أمرها جيدا جدا بهذه النهاية التي ألقت فيها سيارتها في النهر.

تابع قوله:«أرى ان كل شيء قد أصبح تحت الماء. جواز السفر، تذكرة السفر، الثياب.»

تساءلت ان كان من الضروري ان يعيرها بذلك. ثم قالت بشيء من الحدة:«انك نسيت ان تذكر دفتر تخطيط الرسوم.»

لقد كان كل ما رسمته في أثناء وجودها في إنكلترا في تلك السيارة. وفكرت، حسن كل شيء تقريبا، لقد كان ريكس قد أرسل كتابها دمية القمح في البريد منذ أيام. وهذا يعني أنه الآن في طريقه الى دار النشر الذي تتعامل معه في نيويورك.

قال ببطء:«في هذه الحال، لن يمكنك السفر اليوم.»

وعجبت كيف يمكنه ان يؤذيها الى هذا الحد بينما قد سبق وأن أذاها وجوده هنا نفسه. تابع بجفاء:«ذلك لأنك ما زلت تواجهين المشاكل ذاتها.» وما ان فتحت فمها لترد غاضبة، حتى تابع قوله:«لماذا لا تعترفين بذلك يا عزيزتي...؟» كان صوته قد أصبح فجأة رقيقا خاليا من الغضب والسخرية وهو يتابع:«بأنك كارثة متحركة لا تستطيعين التحكم في شيء من أمورك من دوني؟»

ومن دون توقع، كانت ملاطفته وحدها كافية لأن تزيد من سرعة ضربات قلبها، لتجعل غضبها يتلاشى تاركا مكانه لتلك الاستجابة المؤلمة. طغى الألم في عينيها وهي تنظر الى عينيه متسائلة من دون جدوى. كان ثمة شيء

لا يدرك كنهه وراء الجاذبية المسيطرة التي بدت وكأنها تغوص في أعماقها. وعند ذلك سمعت الضابط يسعل مستأذنا وهو يقول لريكس:«لماذا لا تدخلها الى تلك الغرفة يا سيدي. فسيكون ذلك افضل لكما إذ سأرى أن لا يزعجكما أحد. للمناسبة يسرني ان أراك ماشيا على قدميك مرة أخرى يا سيدي.»

شكره ريكس باقتضاب وهو يدفع ساشا أمامه الى الغرفة التي أشار إليها الضابط، حيث أغلق الباب خلفهما، مستندا الى الباب ليمنع بذلك أي فرار.

قالت له:«لقد فهمت. ان الشرطة بجانبك الآن.»

كان قد استغرق انتقالهما من الغرفة الخارجية الى هذه الغرفة عدة ثوان، وكانت في الغرفة طاولة وعدة كراس وكان هذا مناسبا لها حيث تستطيع ان تتحكم بمشاعرها المضطربة.

اجاب وهو يطوي ذراعيه:«ليس الشرطة وإنما الاسباب مجتمعة.» ليبدو في كل جزء من شخصيته الرجل المحقق المتشدد، الرجل الذي ينتزع الحقيقة ممن يمسكها مهما كان الثمن.

تابع:«ربما كنت مخطئاً، ولكن إذا كنت لا تكترثين بي في هذا الشكل، فلماذا لم تملكي الشجاعة لكي تسمحي لي بمرافقتك الى المطار؟ لقد حررتك من ارتباطنا من دون أي حقد او عداء. فلماذا تهربين من قضاء آخر ساعاتنا معا ما دامت لم تكن خطبتنا تعني لك شيئا كثيرا؟ إلا إذا كانت كلمة الوداع، بالطبع ستسبب لك ألما بالغا؟»

أوه، لقد كان ماهراً جداً. قررت ان تذهب من دونه

ظانة أنه لن يدرك السبب. ليظهر الآن ان هذا السبب وحده دله على مقدار الحب الذي تكنه له. قالت:«انت على حق.» كانت تجاهد لتبدي عدم المبالاة، وتابعت بحدة:«إنك مخطىء.» وحاولت عبثا ان تفتح الباب، لأن قوامه المرن القوي أطبق على قبضة الباب بعنف. وتراجعت ساشا كي لا تحتك به.

قال وهو يتقدم نحوها ملقيا بعصاه بعيداً، متجاهلاً احتجاجها، ثم يمسك بها يجذبها نحوه قائلا:«انظري في عيني الآن واخبريني انني مخطىء.» ولكنها لم تستطع، لأن ظمأ قلبها قد ألغى الاعتراضات الفارغة في عقلها. كان الحبور الذي تشعر به، وهي بين ذراعيه مرة أخرى، يحطم كل مقاومة لديها.

قال بثبات:«أريدك ان تخبريني ان شعورك هذا ليس انجذابا فقط. اريدك ان تخبريني انني على حق.»

قالت وهي تسبل جفنيها لتخفي جرح الهزيمة الذي تشعر به:«لماذا؟ أليكون لك أكثر من علاقة؟»

بانت على ملامحه حيرة شديدة وهو يبعدها عنه متمعناً في المرارة التي ينضح بها هذا الاتهام في عينيها. وقال:«ماذا تقصدين بهذا الكلام؟»

اطلقت ضحكة قصيرة جافة وهي تقول:«يا ريكس. إنك تعرف حقا كيف تصل الى الاشياء التي تريدها. لقد فتحت تلك الرسالة... هل تذكر؟»

فقال:«الرسالة؟»

ما زال يحاول ان يظهر الحيرة فقط. أبدى شيئاً من الفهم قبل ان تقول:«روزاليندا بيكينغتون.» ثم ضحك وبقي يضحك! شعرت بالمرارة وهي تشعر بقبضته تشتد

على يدها عندما حاولت ان تبتعد عنه. وأخيراً قال:«هل تتهمينني بالميل الى امرأة سواك؟» سألها ذلك مظهرا عدم التصديق، ولما لم تجب، عاد يقول:«أوه، إنني اسلمَ بأن لروزليند دورا مهما في حياتي...»

قالت متهكمة:«إنني اعرف ذلك.»

قال وهو ينظر ساخرا الى لونها المتضرج:«إن الاخبار تتنقل طبعا بين الناس! حسن ما دمت تعرفين كل شيء عني وعن روزاليندا، فيجب ان تدركي عقليا ان كل ذلك قد انتهى. وإذا كنت قد تصورت أنني لم أذكر تلك الرسالة لأنني أردت ان أتابع علاقة سرية مع حبيبة سابقة، فأنت مخطئة. لقد ظننت ان هذا أمر قد نسي ولم يعد مذكوراً. لقد سبق ان انشأت علاقة معك. وكان ينبغي أن أمل ان ذلك سيعني لك شيئا.»

رفعت رأسها بعنف وقالت بلهجة الاتهام:«لماذا إذاً نسيت كل شيء عن ذلك، عندما وجدت نفسك وحيداً معها في مكتبك؟»

ضاقت عيناه، وجرى الدم سريعاً في عروقها عندما رأت الدم يكاد ينفجر من وجهه وهو يقول ببطء:«كيف! هل علمت بهذا؟»

قالت وقد سرت المرارة في صوتها وهي ترى الصدمة واضحة في عينيه:«كان ثمة موعد بيننا تلك الليلة. هل تذكر؟ وبعكس ما ظننت.» تابعت وهي تشهق:«لقد حافظت على الموعد، وصعدت الى مكتبك مبكرة عن الموعد المتفق عليه. ولكنك كنت مشغولا! لا تحاول ان تنكر انها لا تعني شيئا بالنسبة إليك لأنني سمعتك تقول ذلك بنفسك. ولم ينته الأمر بالحديث فقط. أليس كذلك؟»

لقد ألقت عليه عذاب الذكرى التي أصبحت واضحة الآن، ولكنها لم تعد تهتم بعد الآن. وتابعت بمرارة ساخرة:«أخبرني يا ريكس. هل تعانقك جيدا كما أفعل أنا؟»

قال:«كلا.»

كلا؟ يا للهول. ما الذي كان يقول؟ كيف يمكنه ان يكون بهذا الهدوء؟ من دون قلب في الوقت الذي تكاد هي فيه ان تتمزق إربا؟

قالت:«تعني... حتى انك لا تحاول ان تنكر أنك عانقتها؟»

كان صوتها ضعيفا مجروحا وهي تتمتم بهذه الكلمات. كيف يقف هكذا من دون أثر للندم على وجهه؟ وأسوأ من ذلك أنه يبدو وكأنه يتسلى بما يسمع.

قال:«إنني لا أنكر أنني تركتها تعانقني.»

حسن، انها لن تصدق منه ذلك. وعادت تقول:«لا يبدو عليك انك اعترضت على ذلك. كان في إمكانك ان تمنع ذلك لو شئت. ولكنك لم تشأ أليس كذلك؟ إنني متأكدة من أن أي امرأة لا يمكنها ان تعانقك من دون إرادتك. إذن لا بد انك أردت ذلك.»

قال:«نعم.»

قالت:«لماذا؟»

لقد كان لصراحته طعنة الخنجر في قلبها. وكان جوابه لها أنه فجأة أطبق شفتيه بشدة وهو يقول:«لأنها كانت شديدة الالحاح ومقتنعة تماما بأن الأمور ما زالت بيننا كما كانت من قبل. ولم تنفع المناقشات في جعلها تصدق خلاف ذلك. لقد رحبت بعناقها، فقط لكي أريها مقدار مناعتي تجاهها... كلا، ليس مناعة. الكلمة المثلى لذلك

هي عدم الإكتراث وهو ينطبق على شعوري نحوها. ومن عدم تجاوبي معها، أدركت هي ذلك. من الواضح انك لم تبقي هناك وإلا كنت اصطدمت بها، لأنها اندفعت خارجة كالعاصفة، وأنت...» بدت الرقة في لهجته وملامحه، وبلطف وضع يده على كتفها متابعا:«خرجت ظانة أنني ما زلت أحبها؟ تائهة ساعات طويلة تحت المطر المنهمر؟ هل هذا هو السبب الذي جعلك تقولين لي إنك كنت مع غايفن؟»

كانت مشاعرها من القوة بحيث لم تستطع النطق فأومأت برأسها.

قال بابتسامة ساخرة:«أنت ومخيلتك، كدت تدمرين حياتك بتخيلاتك أمورا وهمية.» كان يعنفها برقة مذكرا إياها بكل شعورها بالذنب الذي كان، والآلام التي عانتها من أجل بن من دون مبرر.

عاد يقول:«انك تصورت انني اخدعك وأنني أسبب لك كل ذلك الألم في الوقت الذي كنت أنا فيه اعتقد انك ندمت على هذه الخطبة وأنك خفت ان تؤلميني إذا أنت فسختها.»

بدا الشك في عينيها من تصريحه المخيف ذاك وهي تسأل:«ماذا؟ ما الذي جعلك تظن ذلك بي؟»

هز كتفيه قائلا:«أوه، لا أدري.» أخذ يعبث بشعرها الحريري وهو يتابع:«لقد كان يبدو عليك عدم الإرتياح... دائما تقومين بأعمال ونشاطات ملؤها الحيوية، ومع غايفن. وتحبين الاستمتاع بنوع من الحياة لن يكون في إمكاني ابدا ان امنحك إياه. لهذا فكرت انني بربطك بي، لا اكون عادلا معك.»

قالت تلومه باسمة وهي تحيط عنقه بذراعيها:«والآن، من هو الذي يتخيل الاشياء؟»

قال وهو يغضن ملامح وجهه:«أتلومينني؟ لم يكن في شخصي ما يثير وأنا ملتصق الى تلك الكرسي.»

ألقت برأسها على كتفه وهي تتنهد بغبطة قائلة:«لم أكن اتطلع الى اكثر من حبك.» لقد حيرها مبلغ عدم شعوره بالثقة والأمان في أعماقه. وتابعت قائلة:«لقد وافقت على الزواج منك وقلت نعم لأن...؟»

فقال وهو يرفع ذقنها بأصابعه لينظر الى عينيها:«قلت نعم لأن...؟»

قالت هامسة وقد عزمت على ألا تدع بعد الآن مجالاً لأي سوء تفاهم بينهما:«لأنني أحبك.»

قال:«وهل ظننت أنني لم أحس بالشعور ذاته نحوك؟ لماذا إذن طلبت منك الزواج أيتها المجنونة الصغيرة الحمقاء؟ أم أنك ظننت أنني اعرض الزواج على كل شريدة قد تدخل منزلي؟ وبعد اسابيع قليلة من ذلك؟ انهما ساقاي فقط اللتان كانتا مشلولتين وليس عقلي. والسبب الوحيد الذي جعلني انهض عن الكرسي تلك الليلة، هو انني كنت مستميتا لكي لا أخسرك. ما الذي يستطيع رجل ان يفعله أكثر من ذلك يا حبيبتي، لكي يجعل امرأة تعلم إلى أي حد يحبها؟»

قالت:«لا أعرف.»

لم تستطع ان تقول أكثر من ذلك لأن قلبها كان عامرا بالسعادة وهو يحتضنها قائلا:«عندما أخبرتني انك لست حامل، شعرت بأنني خسرت آخر فرصة لي للإحتفاظ بك. كان علي ان أفعل شيئا، وهذا هو سبب

إصراري على الذهاب معك الى المطار. لكي أبذل جهدي في ان أجعلك تغيرين رأيك. لقد كنت دوما اتمنى، نعم اتمنى... ان تأتي إليّ لتخبريني انه سيكون لنا ولد. لقد تصورت طفلة تشبهك تماما أستطيع ان اضعها على ركبتي. لم أكن لأتصور سوى مشهد واحد وهو أسرة تضمنا نحن الثلاثة، وأنت زوجة لي..»

مد يده الى جيبه يخرج منها شيئاً. العلبة التي تحتوي على خاتم خطبتها. وشهقت مبتهجة وهو يقول:«دعينا نبدأ من جديد.» ثم وضع الخاتم في إصبعها هو يبتسم للنظرة المتألقة التي ظهرت في عينيها.

اخذها بين ذراعيه وهو يهمس:«أراهن على أنه لم يفعل احد قبلنا مثل هذا في مخفر من قبل.» ونظرت الى السروال الذي كانت ترتديه وانفجرت ضاحكة. وذلك في الوقت الذي قرع فيه الباب:«هناك مخابرة هاتفية للسيدة من السفارة.»

فتح ريكس الباب ليجد الشرطي الذي كان يناديها يقف أمامه. وقال له ريكس بجفاء:«أخبرهم ان الإشارة الهاتفية كانت خطأ. وإذا كنتم لا تريدون ان تحبسوها ايها الضابط، فإنني على استعداد لأن أضمن سلوكها في المستقبل وذلك بأن آخذها معي الى بيتي.»

قال الضابط غامزا بعينيه نحو ساشا، يشاركه المزاح:«كلا، إننا لن نحاسبها بدفع مخالفة يا سيدي إذا هي تعهدت بأن تعيد السروال الى المخفر في خلال سبعة أيام.»

قالت ساشا لريكس، عندما عاد الضابط الى عمله، وهي تضحك وقد توردت وجنتاها:«هل كان يجب ان تقول له

هذا الكلام؟ يبدو انك نسيت خطورة الموقف. لقد أصبحت من دون شيء. سيارتي، كل ثيابي، نقودي. وسواء كنت مخطوبة او لا فإنني لا أحب الشعور بأنني...»

قال يكمل كلامها: «بأنك مدينة؟» خلع سترته والقاها على كتفيها. وذكرتها رائحة السترة بأول مرة وضع سترته عليها عندما سقطت من المنطاد. وقال: «لقد نسيت مبلغ شعورك بالإستقلال. لا تقلقي سأرسل من يتصيد اشياءك تلك من النهر. إنني متأكد من ان بينها ما يستحق الإنقاذ، للمناسبة، إذا كنت تصرين على تحصيل معيشتك...»

واستعاد عصاه وهو يفتح لها الباب مبتسماً وهو يستطرد: «لقد كنت دوماً أريد صورة جدارية لغرفة النوم، وعندما يوصلنا مايكل الى البيت، سآخذك إليها وأريك الأفكار التي في ذهني عن ذلك.

سألته مازحة: «هل هي صورة فنية يا سيدي؟» وانفجرت ضاحكة وقد وضعت ذراعها، في شكل تلقائي، على خصره.

أومأ لهما الضابط بالتحية وهو يبتسم لهما وراء مكتبه. شدها ريكس إليه وهما قاصدان السيارة وقد انفجر ضاحكاً وهو يقول: «أوه، بالتأكيد.»

تمت